الرِحْلة ـ المغامرة رقم 1



الرَّحيل

إبراهيم محمد

الرِحْلة



رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وَإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

❖

رواية

الرِّحيل

❖

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

❖

تأليف

إبراهيم محمد

❖

تصميم وإخراج

إبراهيم محمد

❖

❖

للتواصل مع المؤلف

Wordsonsnowtablet

Gmail | Facebook

❖

تنبيه

- هذا المؤَلَّف من قرِيحة مؤلِّفه، ولم يتم نقله أو اقتباسه من أي مصدر آخر.
- أي تشابه بين الرواية وأحداث وشخصيات واقعية هو محض مصادفة.
- لم يتم تدقيق هذه الرواية لغويًّا
- تم إنتاج الصور باستخدام برامج الذكاء الاصطناعي، وباستخدام كلمات عامة دون وصف دقيق.

الرِحْلة



رِحلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟



الرّحيل

تأليف

إبراهيم محمد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الأولى

هذه سلسلة مغامرات تقوم فكرتها على الاختلاف بين فريقين حول هيئة الأرض، فريق يؤمن بأنها كروية وهو الأكثرية الغالبة، ويشمل أكثرنا وكيف لا؟، وقد نشأنا مع هذه النظرية ودرسناها حتى كانت مُسلمة عندنا، والفريق الثاني يؤمن بأنها مسطحة على العموم لا تكوير فيها، وبدأ هذا الفريق صغيرا ولكن كثُر أتباعه حتى طفى على السطح وصار ظاهرا للعيان، ومعه برز الصراع بين الطرفين.

الفريق الأول يتهم الثاني بالجهل وإنكار الحقائق واستغلال الدين لبناء مفاهيم خاطئة والرجوع بالناس إلى عصور الجهل والتخلف، والفريق الثاني يتهم الأول بالكذب والخداع والتزوير ومحاربة الدين، وأن الأرض أكبر مما نعرفه ولكل حالة أو ظاهرة في عالمنا لها تفسير تبعا لقواعد الأرض المسطحة هو أفضل من التفسير المعتمد على كروية الأرض.

لأجل ذلك وجب من جانبي التنبيه على بعض الأمور الهامة:

- هذه السلسلة - إن كُتب لها النجاح والاستمرار- هي سلسلة مغامرات خيالية وليس بحثا علميا، رغم أننا سنذكر حجج وبراهين الطرفين، وسيتم ذكرها تبعا لمسار الرواية وأحداثها بشكل محدود ومختصر، دون أن تطغى على أحداث القصة أو تشغل حيزا كبيرا.
- لا أسعى في هذه السلسلة لترجيح طرف على طرف، بل ولن أسعى إلى دفع القارئ لتبني وجهة نظر فريق دون الآخر، وعلى القارئ أن يدرك أن حجج الطرفين ستظهر معا أو طرف دون الآخر تبعا لما تقتضيه أحداث الرواية، وظهور حجة طرف وحدها لا يعني عدم وجود بديل لها عند الطرف الآخر، فالبديل قد يكون في رواية تالية، فأنا اكتب رواية مغامرات وليس بحثا علميا.
- أول رواية من هذه السلسلة تحرص على إظهار أفكار المؤمنين بتسطح الأرض، من باب التعريف بهم فقط لمن لا يعلم عنهم ولا عن أفكارهم.

- يستشهد الفريقان بآيات من القرآن وأحاديث شريفة وغيرها من الأديان الأخرى، لكن يجب أن يعلم القارئ أن ما يرد على لسان شخصيات الرواية هو فهم الفريق المعني للنص الديني وليس تفسيرا قاطعا له.
- شخصيات الرواية من بلدان عدة وأعراق مختلفة، وهذا الأمر فرضته فكرة السلسلة، لكن الشخصيات تتصرف تبعا لطبيعتها البشرية الخاصة وليس تجسيدا لطبيعة أهل بلدها أو عِرقها، لذلك ليس من الانصاف تعميم سلوك الشخصية على قوميتها أو بلدها، سواء أكان السلوك محمودا أم مذموما، فهذه سلسلة مغامرات خيالية.
أرجو أن أكون أوضحت للقارئ ما قد يتسبب في سوء الفهم، وأتمنى له الاستمتاع بهذه السلسلة وأن يُكتب لها النجاح والاستمرار.

المقدمة الثانية

الأرض كروية يغطي الماء ثلثيها، ماذا؟ هناك من يقول هي مسطحة على العموم وأكبر مما تُظهره الخرائط!

هنا بدأ الجدال وأوشك أن يتحول إلى صراع، ولكن مهلا.. نحن في القرن الحادي والعشرين، حيث الطائرات التي تبلغ عنان السماء، وتقطع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، والسفن العملاقة التي تمخر عباب البحر دون جهد ولا عناء.

لنقطع الشك باليقين وليأت كل فريق بثقاته، ونذهب سويا في رحلة حول الأرض، إن عدنا إلى نفس النقطة التي بدأنا منها فهي كروية ولا شك، وإلا فهي مسطحة وعلى من بطُلت حُجَّته أن يقبل النتائج ويقرها.

وجاءوا..

من كل حدب وصوب..

يحملون متاعهم..

يهربون من حاضرهم..

يخفون أسرارهم..

يدارون غاياتهم..

لتبدأ رحلة..

أغرب من الخيال..

إبراهيم محمد

1- ثرثرة وأشياء أخرى

انهمك (سامح) في المذاكرة على كرسي خشبي وهو يتكئ بكتابه على شاشة حاسوب قديم على منضدة أمام النافذة ومن خلفه خزانة ثياب وسريران، أحدهما له والآخر لأخيه الأكبر (عاصم)، أخوه الأكبر الذي يحتج على وجوده معه في الغرفة، غرفة قديمة هي، تم طلاؤها عدة مرات وتساقط طلاؤها في أجزاء متفرقة، ومروحة سقف متوقفة وباب خشب لم يبق من شبابه إلا الذكريات.

"يغطي الماء ثلثي سطح الكرة الأرضية..."

هنا جاءت الصفعة اللطيفة على قفاه، لتوقف (سامح) عن مذاكرته، وصوت أخيه (عاصم) يقول:

- مسطحة يا أحمق، مسطحة، إلى متى سيخدعوك؟.

أمم لقد عاد المُسطح، الآن المذاكرة يجب أن تكون صامتة، قبل الرد والانتقام يجب إعداد خطة الهروب، الباب مفتوح.. ممتاز، و(عاصم) بجوار سريره بعيدا عن الباب.. رائع، لنبدأ التنفيذ.

و قف (سامح) وضم كتابه إلى صدره وأمسك ذقنه وعقد حاجبيه حتى بدا أشبه بتمثال لمفكر في أحد الميادين وقال:

- لقد أخبرت أستاذ العلوم بما تقول، هل تعلم ماذا قال؟

نظر له (عاصم) وهو يخلع حذاءه ليملأ الغرفة برائحة تُزهق الأنفاس والأجناس ولم يجبه، فأكمل:

- قال إن الشيء الوحيد المُسطح تسطيحا لا شك فيه هو رأس أخيك.

الآن الهروب، اندفع من الغرفه إلى بهو البيت، وكاد أن ينجح ويعلن انتصاره الساحق بمد لسانه، ولكن قذيفة كيميائية على هيئة جورب نتن الرائحة أصابته في كتفه، وهو يصيح:

- أمي.. أمي.. لقد عاد المُسطح.

لم يبال به (عاصم) وأكمل تغيير ملابسه، فأمامه عمل هام، قعد أمام حاسوبه القديم وضغط زر التشغيل، الأخبار الهامة التي سمعها اليوم تتردد في مجتمع الأرض المسطحة، جعلته يعود ملهوفا للتأكد من صحتها، فإن صحّت الأخبار فأمامه فرصة رائعة للمغامرة، بل حياة جديدة.

انتهى تحميل نظام التشغيل وفتح متصفح الإنترنت، وبدأ يبحث في صفحات ومواقع الأرض المسطحة.

هذا هو "نبحث عن متطوعين شجعان، متطوعون قادرون على القيام برحلة إلى بلاد بعيدة، بلاد قد تكون ظروف الحياة فيها صعبة وقاسية، الرحلة هي إعادة استكشاف الأرض ولكن من مسار مختلف، الرحلة لقطع الشك باليقين، وإجابة السؤال هل هي كروية أم مسطحة؟، المتطوع يجب أن يكون ذكيا وذا ثقافة جيدة ولياقة بدنية عالية وقوة تحمل ومحب للمخاطرة والمغامرة، المتطوع سيخضع لعدة اختبارات للتأكد من توفر هذه

المتطلبات، إذا كنت مهتما بهذه الفرصة، قم بالتسجيل عن طريق الرابط التالي"

نقر الرابط لتظهر صفحة أخرى، أدخل اسمه وعنوانه وهاتفه وبريده الإلكتروني لتظهر رسالة تخبره أنه سيتم الاتصال به في أقرب فرصة.

انشغل بمتابعة صفحات أخرى وهو يتمنى أن يكون الخبر صحيحا وليس دعابة ثقيلة، أنه واثق من قدرته.. وهي فرصته، فرصة الخروج من أرض العدم حيث تموت الأحلام، ويسود الفقر والعجز إلى أرض تحمل شيء آخر، حتما ليس الفقر والعجز فيها، أو هذا ما يتمناه، أرض تحمل آلاف الاحتمالات، يكفي أنه سيذهب إلى أرض أخرى، وهذه فرصة لن تتاح له أن اختار البقاء في بلده.

أرض أخرى؟ بل هي رحلة استكشاف العالم من جديد، بعيدا عن الفقر واليأس، أنه لا يعلم كيف سيجد مصاريف الرحلة أن نال هذه الفرصة..

الغداء.. الغداء يا (عاصم).. الغداء.. اممم الغداء.. الغداء؟ ما دخل الغداء في.. آآآآه الغداء، هذا صوت شقيقته (إيناس) وهي تدعوه للغداء، أخرج نفسه من أفكاره ورد عليها:

- قادم.

* * *

اتخذ الأب مكانه على رأس المائدة الطويلة لتناول الغداء، ونظر إلى زوجته الطيبة وأولاده الأربعة وابنتيه، هذه مملكته وهؤلاء رعيته، وأطال النظر إلى ابنه الأكبر (عاصم)، مشكلة في هيئة شاب، لقد تخرج حديثا لينظم إلى جحافل العاطلين، ويحتاج عملا وبيتا وزوجة، من أين؟ الله سيدبرها، فهو بكل جهده يحاول أن يبقي هذا البيت قائما ومكتفيا، ولا يوجد في جيبه فلس واحد للغد، فكل ما يملكه لأجل اليوم، كانت هذه الخواطر تدور في رأس الأب، حين شعر (عاصم) بيد تُوضَع على رأسه وأخته (إيناس) تقول:

- الأصبع الأول على الثنية الأولى والأصبع الثاني على الثنية الثانية من ثنايا المخ، وبقياس الزاوية بين الأصبعين، نجد أنها مائة وثمانون درجة، وهذا دليل لا يقبل الشك أنّ مخ (عاصم) مسطح تماما.

هنا رفع الأب يده بملعقة الطعام وأشار لابنته بالجلوس وقال:

- لا أريد أي حديث حول هذا الأمر، مفهوم؟ الأرض مكعبة، من يعترض سيُحرم من الطعام، هل هناك من يعترض؟.

و أشار بالملعقة نحو ابنه الأول وقال:

- أنت.. الأرض مكعبة أم لك رأي آخر؟

أجابه الأول بسرعة وبولاء تام، فهو ليس أحمقا ليذهب بغدائه لأجل أمر لا يشغله:

- مكعبة وستون مكعبة.

و أشار الأب إلى ابنه الثاني وقال:

- وأنت؟

كان في ذكاء الأول ولكن المزيد من الفلسفة لن يضر أحدا:

- وهل يوجد شكل هندسي سوى المكعب ليصف الأرض يا أبي الحبيب؟ إنها مكعبة تكعيبا لا يقبل التربيع ولا التخميس، مكعبة تماما.

زجره الأب فهو لا يطيق الفلسفة وقت الطعام وقال:

- الإجابة يجب أن تكون مختصرة، لا أريد فلسفة.

و أشار لابنه الثالث وقال:

- و أنت؟

الثالث كان أكثر حكمة وزهدا في الحديث فقال وهو ينظر للطعام انتظارا لإشارة البدء:

- مكعبة.

هنا نظر الأب لابنه الرابع والأكبر (عاصم) وضاقت عيناه فى نظرة ذئب يسمع نقنقة الدجاج وأشار إليه دون أن يتكلم، وكان ذاك أمره كأبطال القصص حين يحيط بهم الأعداء، فبدلا من المداهنة يبدأ نطح الخراف، ولكن يبدو أن شيئا من التعقل فيه، فقد أجاب:

- مسطحة تلقي ظلالا مكعبة.

نظر له الأب نظرة "لن تكون أذكى منّي" وقال:

- فرصتك الأخيرة، مكعبة أم غير ذلك؟

و نظر الأب لابنته الصغرى وقال:

- هاتي طبق البامية.

امتدت يد الصغيرة لتأخذ طبق البامية من أمام (عاصم)، ولكن يد (عاصم) امتدت بسرعة لتُبقي الطبق في مكانه وهو يقول بسرعة:

- مكعبة ولها ظلال مسطحة.

أشار الأب لابنته بترك الطبق وأشار إلى طبق السلطة وهو يقول:

- هاتي السلطة، يجب أن يفهم الجميع أن النظام الذي أديره هو نظام ديكتاتوري لا يقبل المعارضة أبدا، هيا بسم الله الرحمن الرحيم.

أمسك (عاصم) بطبق السلطة قبل أن يطير وهو يقول:

- مكعبة يا (أبا عاصم)، مكعبة وستون مكعبة، أنت الأب الطيب الحنون.

أشار له الأب إشارة تحذير واضحة، ليؤكد نظامه القمعي في مملكته التي يديرها تبعا لأهوائه، من لا يقبل به عليه إنشاء مملكته الخاصة.

قطعة لحم! أنه سعيد الحظ، ولكنه لا يعلم أن أمه هي من وضعت له تلك القُطَيعة من اللحم، والأحمق لم يكتم السر بل تكلم وثرثر، فقال (سامح):

- لحمة.. مممم، أبي لماذا لا تسأل البنات؟ دائما تسألنا نحن الأولاد فقط.

قال الأب وهو يلوك طعامه وينظر إلى (سامح) مخفيا عينيه وراء حاجبيه:

- أنتم من يثيرون الضجة ويكثرون الصياح، البنات لا تهتم بهذه التُرَّهات.

احتج (عاصم) وعنده ألف سبب لذلك، وعدم وجود قطعة لحم ليس أولها، قال وعينه على أخته الصغرى (إخلاص):

- العلم ليس تُرَّهات يا أبي.

دق الأب المائدة بمؤخرة ملعقته في حركة سلطوية وقال:

- بيتي هو مملكتي، أنا من أضع القوانين والقواعد والعلوم، في بيتي الماء من الجوامد والحديد من السوائل.

هنا تدخلت زوجته لتؤكد سلطته، فهي مثله تكره صياحهم وجدالهم في كثير من الأمور، وتحب الهدوء والسكينة، حتى وإن كان ثمنهما إضطهاد الأربعة، فقالت:

- هذه دولتنا ومن لا يرغب عليه النزوح إلى دولة أخرى وطلب اللجوء السياسي.

اللجوء السياسي! متى تدخلنا في السياسة؟ عموما هذه هي الموضة هذه الأيام، وفي رياء واضح ومداهنة قالت (إيناس):

- و نعم القول يا أمي، ولكن يا أبي لكل دولة علم، أين علم دولتك العظيمة؟

شخر الأب من أنفه، فإن كان يحب ابنته، إلا أنه يكره الرياء والنفاق والمداهنة وقال:

- و ماذا تظنين أنني ارتدي؟

طبعا يرتدي منامة بيضاء مريحة ومخططة بخطوط زرقاء طولية، تماما كالعلم الأمريكي ولكن بدون مستطيل النجوم، إن حبه لمملكته يفوق الوصف، المهم أن لا يمتد إلى الملابس الداخلية كما يفعل الأمريكيون في الولايات المتحدة الأمريكية.

* * *

العالم كما هو، حروب وفوضى ومشاكل هنا وهناك، وهذا هو لا يجد عملا يناسبه في مواقع الخدمات الصغيرة، الكل يطلب أعمال كثيرة بأجور زهيدة، ومن يطلب هذه الأعمال واثق جدا أنه سيجد من يفعلها له بالسعر الذي يرغبه.

دارت هذه الأفكار في رأس (عاصم) وهو يتصفح في هاتفه النقال، ويستمع لأنفاس أخيه (سامح) النائم، الساعة الآن العاشرة ليلا، ولم يجد لنفسه عملا لنهار الغد، وهذا يعني أن الغد إجازة، إجازة بمفهومه طبعا، سيبحث عن شيئ يشاهده قبل النوم، بفضل الله أن خدمة الإنترنت كانت من الأشياء التي استطاع أبوه أن يوفرها قبل إعلان عجزه وإفلاسه وإلتزامه بضروريات البقاء فقط، وقد بذل (عاصم) جهده كي يشعر أبوه بمميزات الإنترنت وفوائده، وبأنه من ضروريات العصر، وعلَّمه برامج الاتصال والمراسلة والتصفح، ويبدو أنه أفرط في عرض مميزات الإنترنت، لأن أبيه قال له:

- أول مرة في حياتي، أعلم أن في الدنيا صنف نساء غير صنف أمك.

لا توجد محاضرات جديدة في قنوات الأرض المسطحة، هنا دوى صوت الهاتف يعلن وصول رسائل جديدة.

"مرحبا بك في عالم المغامرة والاستكشاف"، العنوان وحده جعله يتجاهل ما يفعله وينقر على رسالة التنبيهات التي تحمل هذا العنوان، لتذهب به إلى تطبيق البريد الإلكتروني وتفتح الرسالة، رسالة بسيطة ومختصرة، تشكر له اهتمامه بما تم عرضه وتطلب منه نقر الرابط التالي أو الذهاب إلى متجر

نظام التشغيل في الهاتف وتحميل تطبيق بعنوان "ما وراء الحقيقة"، نقر الرابط بسرعة متجاهلا مخاطر فتح روابط غير موثوقة المصدر، الطريق الأسهل والأسرع لاختراق أنظمة التشغيل.

لكن الرابط نقله إلى متجر نظام التشغيل، وخاصة صفحة البرنامج المقصود، وصف البرنامج يدل على أنه اختبار في مادة الجغرافيا.

قام بتحميله في وقت وجيز، ثم تركيبه وفتحه، الشاشة الترحيبية للبرنامج تخبره أن هذا امتحان حول نظريتي كروية الأرض وتسطحها، وتطلب منه الإلتزام بالوقت المحدد لكل سؤال، وسيتم تجاهل السؤال ومنح الدرجة صفر عنه في حالة الإجابة الخاطئة أو إغلاق البرنامج، وأن يضغط زر البدء كي يبدأ الامتحان.

ضغط زر البداية، ليبدأ سيل الأسئلة، كانت أسئلة متنوعة وفي أغلبها اختيار من متعدد والآخر اختيار بين صح وخطأ والقليل أسئلة تقريرية، لم تكن الأسئلة منحازة إلى نظرية الأرض المسطحة كما كان يتوقع، بل كانت متوازنة وتسأل عن تفسيرات المناخ والفصول وحركة الشمس والليل والنهار والظل وحركة النجوم، تارة يطلب تفسيرها تبعا لنظرية الأرض الكروية وتارة حسب نظرية الأرض المسطحة، ثم اختتم بسؤاله عن أشياء عامة ودينية وعن هواياته ومهاراته البدنية وهل انهى الخدمة العسكرية، وبعد ذلك جاء السؤال الأخير "في ضوء إجاباتك السابقة، وقناعاتك الخاصة، هل تعتقد أن الأرض كروية أم مسطحة؟ "

هنا توقف (عاصم)، توقف ليس لأنه لا يعرف الإجابة التي يؤمن بها، بل لأنه يعرف أن الإجابة ستؤثر على مصيره، توقف ينظر للسؤال وكأنه كُتب بلغة لا يفهمها، ونظر إلى عداد الوقت التنازلي، الغريب أنه متوقف، كأن من وضع الامتحان يعطيه الوقت الذي يكفيه لإجابة السؤال.

بحذر وتردد ضغط على "كروية"، في هذه اللحظة شعر أنه يخون نفسه، رغبته في الهروب من هذا البلد.. من المستقبل الذي يجهله، جعلته يخون نفسه.. أفكاره.. معتقداته.. كلا.. إنها مسطحة.. مسطحة ولا شك في ذلك، بسرعة نقر على "مسطحة" لتصير هي الإجابة، وضغط زر "التالي"، الصفحة التالية كانت رسالة شكر على وقته واهتمامه ووعد بالرد في أقرب وقت ممكن، وأغلق البرنامج نفسه تلقائيا.

نظر (عاصم) إلى ساعة الهاتف، وجدها الثالثة صباحا، أي أنه استغرق أكثر من أربع ساعات في ذلك الامتحان، وبقيت قرابة ساعة حتى الفجر، هل ينام؟ كلا سيكون الاستيقاظ بعد ساعة صعبا جدا، وأبوه ينزعج بشدة من المماطلة في الاستيقاظ لصلاة الفجر، سيشاهد شيئا ثم ينام بعد صلاة الفجر.

و لكن كما نعلم جميعا، الشيطان لعين ولن يذهب إلى النار بدون تعب أو بثمن بخس، والليل نهاره وملعبه، لذا كما نتوقع استطاب النوم في جفني (عاصم)،حتى صارا جبلين لا يستطيع أن يفرقهما.

*** * ***

حائط قديم قذر، يجب تنظيفه جيدا قبل طلاءه، و(عاصم) يبذل جهده وهو يكشط الطلاء القديم المهترئ بآداة الكشط الحديدية، المفترض أن اليوم إجازة، ولكن (كمشة) اتصل به عند الثامنة صباحا، يطلب عونه لأن الصبي المساعد ذهب لأمر ما، وجدها (عاصم) فرصة عمل وسياحة، صحيح أن العمل مُتعب جدا ولكن القدوم مع (كمشة) في (التكتك) إلى مكان العمل كان رحلة طيبة.

لم ينم سوى ثلاث ساعات، لكن النوم متاح ومتوفر والعمل شحيح، ورغم الإرهاق فأنه لم يبد تذمرا، وانهمك في عمله في نشاط، في حين انهمك (كمشة) في تجهيز معدات العمل، (كمشة) ؟ من يسمي نفسه (كمشة)؟ لا ريب أنه اسم شهرة كما يحدث في عالم التمثيل والسينما، ما اسمه الحقيقي؟ صديقه ولا يعرف اسمه؟.. لا.. أنه يعرف اسمه.. انه يبدأ بحرف الكاف، (كماشة) ؟ هل (كماشة) اسم إنسان؟ (كبدة)؟ لعله (كلية)؟ لا.. لا.. (كُليب) ؟ هل هي قصة الزير (سالم)؟ لا.. لم يعد هناك من يسمي هذه الأسماء، (كامل)؟ (كماااال)......نعم (كمال).

- (كمولة)، تعرف أنني نسيت اسمك والآن تذكرته!

- (كمشة) يا (عاصم) يا حبيبي، (كمشة) هو اسم الشغل والشهرة.

يا سلام..

- ضاقت بك الدنيا ولم تجد سوى (كمشة).

- لا لا يا (عاصم) يا حبيبي، (كمشة) لأنني (أكمش) في الشغل ولا أتركه حتى التمام.

- يا عيني يا (كمشة)!

طبعا (كمشة) متزوج وينتظر مولوده الأول قريبا، ووضعه المالي يمكن اختصاره في (مستورة والحمد لله)، في حين أنهى هو دراسته الجامعية وينتظر من يقول له "تعال يا روح أمك، نحتاجك في عمل"، طبعا لا داعي لذكر الزواج وما يحتاجه من شقة ومهر وتكاليف، أنه لا يستطيع ذكر هذه الأمور لوالديه، يكفيهم ما هم فيه، يا الله! لو ينجح موضوع الرحلة، فرصة.. فرصة كبيرة له.. كم عدد المتقدمين؟ لا شك أنه كبير، حتى لو نجح.. من أين يأتي بتكاليف السفر؟

هل الموضوع جاد؟ أم أنه دعابة؟ ستكون دعابة ثقيلة جدا، برنامج الامتحان نفسه يحتاج إعداده مجهودا عظيما، لا يمكن أن يكون من باب الدعابة، لكن مسألة نجاحه وقبوله هي المسألة التي يجب أن تشغله.. يا رب يسرها.. يا رب.. فرج قريب..

2- اللعبة

انهمك (عاصم) في مباراة ساخنة مع والده، هذا هو الهدف الرابع يا (أبا عاصم)، هنا قُطعت المباراة بالاتصال القادم لتحجب نافذة الاتصال نافذة اللعبة، كان المتصل أبوه، ضغط (عاصم) زر قبول الاتصال وهو يقول بلا تأني:

- البرنامج من يضع القواعد والقوانين يا حاج ولست أنا.

أوشك صوت أبيه أن يفجر الهاتف وهو يصرخ:

- أخبر هذا البرنامج الملعون أن الحركة صحيحة يا ابن الذين آمنوا.

كيف يخبر البرنامح أن حركة أبيه صحيحة؟ ولكنه قال:

- يا أبي أنت من ضغطت زر عرقلة اللاعب والحكم (كمبيوتر) وهو من جعلها ضربة جزاء.

- الملعون كان يمنعني من الرمي إلى الشبكة، ثم هناك زر للعرقلة ولا يوجد زر لضرب الحكم، كيف؟ هذا جنون؟

- أعصابك يا حاج، دع هذه المرة تمر.

- أنت تقول أنا وأنت لاعبان حقيقيان فقط والباقون يتم تحريكهم بـ(الكمبيوتر)، بأي حق صارت له ضربة جزاء؟

- يا حاج هذه محاكاة للعبة كرة قدم حقيقية، لم يكن عليك عرقلة اللاعب.

- اسمع يا ولد، ليس لأنك تفهم في (الكمبيوتر) يعني أنك تستطيع خداعي، أنا أفهم منك ومن مليون (كمبيوتر)، اسمع يا ولد، لن العب حتى يتعلم هذا (الكمبيوتر) الأخلاق.

و أغلق أبوه الهاتف وابتسم (عاصم)، يبدو أنه تسرع حين أدخل أباه عالم التكنولوجيا، قام بحفظ اللعبة إلى أن يهدأ أبوه ويطلب منه مواصلة اللعب.

الساعة الآن الخامسة عصرا، موعده مع (كمشة) في الخامسة والنصف في قهوة المعلم (جعورة)، ليخرج الآن من البيت قبل أن يهدأ أبوه ويطلب إكمال اللعبة.

*** * ***

ما هذا المال القليل؟، إحساسه بالظلم والخداع جعله (عاصم) سؤالا، وجهه إلى (كمشة):

- ما هذا يا (كمولة) يا حبيبي؟

سحب (كمشة) نفسا عميقا من النارجيلة حتى أوشك أن يبتلع النارجيلة ذاتها وقال:

- شغل يومين يا (عاصم).

- هذا شغل يومين يا (كمشة)، هذا شغل نصف يوم.

- (عصومة) حبيبي، أنا أعطيك أكثر من الصبي لأنك صاحبي وأنت عارف أن الشّغل عندي بسيط وليس متعبا.

تمنى (عاصم) أن يقول له أنه مخادع، ولكنه ألجم نفسه حتى لا يفسد صداقتهما، ووضع المال في جيبه و(كمشة) يقول بعد زفرة نفس طويلة:

- أعرف أن المبلغ قليل، لذلك يجب أن تجد لك صنعة تعيلك كي تقف على قدميك يا (عصومة)، أمامك مستقبل وبيت وزواج.

أخذ (عاصم) يحاول إبعاد الدخان عن وجهه وهو يقول:

- أنت تقول لي؟ أنا أعلم المقرر كله، لكن أين هي الصنعة؟

نفس عميق جدا، إن عاش (كمشة) سنة أخرى بدون سرطان الرئة فهو من معجزات الدنيا، ثم نفثه ببطء.. باستمتاع.. بنظرة عشق في عينيه وقال:

- موجودة، لكن.. اترك موضوع الشهادة، هات يديك.

مد (عاصم) يديه وهو لا يعلم السبب، ونظر (كمشة) إليهما وقال:

- مُنتهى الجمال.

مُنتهى الجمال؟! نظر (عاصم) إلى يديه المتشققتين وأظفاره السوداء والخدوش عليهما جراء العمل الشاق مع (كمشة) وسواه، مُنتهى الجمال؟.. المهم..

قال (كمشة) بعد أن أخذ رشفة طويلة - كل شيء يفعله (كمشة) يجب أن تكون صفته طويل أو طويلة - من الشاي:

- الآن نحتاج اسم شغل، اسم حين يسمعه الناس يعرفون إنك صاحب صنعه فعلا.

قال (عاصم) بسرعة:

- (عصومة).

ضحك (كمشة) ولكن يبدو أن الضحك والشاي لا يجتمعان، فقد أوشك على الاختناق، وقال وهو يكح:

- لا، لا، لا، (عصومة) اسم تدليع لا يصلح في العمل، سيحسب الناس أنه لقب لولد صغير وليس صاحب صنعة.

وصمت (كمشة) وهو يفكر، وترك الشاي وعاد إلى النارجيلة، طبعا.. التفكير العميق يحتاج إلى أن يذكي خلايا المخ بالنار، حتى تكون الأفكار ناضجة وعميقة.

بعد أن أشعل مخه نارا وهرئ صدره من الدخان، قال (كمشة):

- (عمصة).. اسم الشغل (عمصة).

(عمصة) ؟ (عاصم) صار (عمصة).. لا إله إلا الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لكن.. (عمصة) أفضل من (عاصم) ألف مرة... (عمصة) يملك صنعة.. (عاصم) يملك ورقة تقر أنه حاصل على شهادة في الحاسوب.. (عمصة) صنعته تجلب المال.. (عاصم) ورقته تصلح للشطائر.. (عمصة) الناس تحتاجه.. (عاصم) يحتاج الناس.. (عمصة) سيكون قادرا على شراء شقة أو استئجارها على الأقل.. (عاصم) لن يستطيع تأجير درجة سلم تؤدي إلى شقة.. (عمصة) سيكون قادرا على تكاليف الزواج.. (عاصم) غير قادر على الزواج من عروس بلاستيكية.. الأمور واضحة ومحسومة، ليسقط (عاصم) وليحيا (عمصة)..

- (عمصة) يا (كمشة)، الناس ستحسب أنني لا أرى عملي بسبب (العمص) في عيني، ألا يوجد اسم آخر؟

أمسك (كمشة) النارجيلة بيساره لأن يمينه تمسك كأس الشاي وقال:

- لا يا حبيبي يا (عصومة)، (عمصة) تعني أنك لا تترك العمل حتى تكمله وإن ظهر في عينيك (العمص)، لقب يدل على الاجتهاد والمثابرة.

- (عمصة) (عمصة) ولكن لا أملك صنعة.

كركركركر.. ارحم الرئة يا (كمشة)، نفس طويل يليه زفير بطئ، ثم يتيه البصر ثم يقول:

- الصنعة بسيطة،في البداية ستعمل صبي مع صاحب صنعة حتى تعرفها وتعرف الناس ثم تستقل، وأفضل صاحب صنعة هو ابن أُمّه.

ابن أُمّه؟ وهل هناك من هو ليس ابن أُمّه، لا يوجد أحد - في حدود علمي- يكون ابن خالته أو ابن عمته أو ابن جدته، جميع الناس ابناء أمهاتهم، غريبة! لكن ما علينا.

- من ابن أمه هذا يا (كمشة)؟ كنت أظن أنني سأعمل معك.

- لا،عملي قليل وبسيط وبالكاد يكفيني، أحيانا احتاج لصبي فقط وليس عامل، لكن ابن أُمّه ابن حلال وصاحب شغل كثير وتحت يديه ناس كثر تعمل لديه، رغم أنه من جيلنا لكنه أفضل منّا جميعا، عمل ممتاز.. أخلاق عالية.. أجور مناسبة، ينجز العمل والجميع راض عنه، من الزبون إلى العمال إلى كل الناس، لذلك استحق لقبه (ابن أُمّه)، وهذا اللقب لا يناله في عملنا إلا قلة قليلة جدا ولكن.

طبعا هناك لكن.. الكلمة الاستدراكية في كل لغات العالم، لا بد منها في قواميس اللغة.

الآن دور الشاي، رشفة طويلة.. طويلة.. طويلة.. لم يبق سوى ربع رشفة للمرة القادمة، إذن لن تكون هناك طويلة المرة القادمة، وأكمل (كمشة) كلامه:

- الشاب معه عقدة نفسية من الشهادات، لذلك لا تخبره أنك حامل شهادة جامعية، أنت معك شهادة ابتدائية فقط، ولكنك مثقف، تشاهد الأخبار وتفهم الدنيا، إذا عرف إنك صاحب شهادة، ستكون ظروفك معه صعبة جدا والطرد وارد جدا.

قال (عمصة) - أنس (عاصم) تماما- في مرح:

- لماذا؟ لأنه لا يحمل شهادة كأمثالنا؟

باحترافية يندر وجودها أمسك (كمشة) النرجيلة - نعم الآن دورها - ونظر إلى (عمصة) وهو يأخذ نفسا طويلا - جدا جدا - دون أن تفارق عيناه وجه (عمصة)، ثم زفييييير بتأني.. بتمهل.. بهدوووء تاااام وقال:

- ثلاث بكالوريس.. عشر ماجستير.. سبع دكتوراه.

هنا صرخ (عمصة) والدهشات تتلاقفه:

- ماذا ؟

كان (كمشة) في قمة السرور لأنه جعل (عمصة) ينفعل وقال:

- الشاب مخه نظيف وفي الآخر عرضوا عليه وظيفة مساعد مهندس زراعي في الصحراء، وهو لا يعرف الزراعة ولم يدرسها يوما.

هنا رن هاتف (عمصة)، نظر إلى رقم المتصل فوجده أباه، وضع الهاتف على أذنه وهو يضغط زر قبول الاتصال ويقول:

- السلام عليكم ورحمة الله يا والدي.

الوالد:

- أين أنت يا (عاصم)؟

- مع صاحبي، نحاول تدبير عملا.

- يا سلام يا أخي، أنت عارف أن أمامنا مباراة قوية، انجز بسرعة وتعال كالصاروخ.

- حاضر يا كبير، إن شاء الله نصف ساعة تقريبا وسأكون عندك.

وضع (عمصة) الهاتف في جيبه وهو يقول لـ(كمشة):

- الحاج، أطال الله عمره.

هز (كمشة) رأسه فهما وتفهما وأمسك بكأس الشاي وأخذ رشفة طويييييلة، غريبة! من أين أتى بها وليس في الكأس سوى ربع رشفة!.. !.. !..

ثم قال:

- هه.. ماذا قلت؟

- عن ؟

- ساتكلم مع ابن أمه عنك.

- تكلم مع ابن أمه وابن جدته، المهم أن نعمل.

- تمام، أرد عليك بعد يومين.

- ساعة ستكون أفضل.

الرحمة يا أخي.. الرحمة يا بن الناس.. أنت تسحب نفسا أم تريد وضع المقهى كله في صدرك.. لكن (كمشة) كان جبارا، الطريق إلى سرطان الرئة والحنجرة والشفتين ليس سهلا، يحتاج إلى كفاح وصبر ومثابرة، يحتاج إلى تضحية، وبعد أن نفث النفس العميق وامتلأ المكان بعاصفة من الدخان وزاغت عينا (كمشة) في عالم آخر يراه ولا نراه، ثم قال:

- الشاب مشغول جدا، ولابد من الجلوس معه لوضعه في الصورة وأيضا أوصيه بك خيرا.

- رجل ابن رجل يا (كمشة)، لكن عندي سؤال.

نظر له (كمشة) وهو يستعد لنفس جديد، وقال (عمصة):

- النارجيلة ؟ وكالة أم تحدي أم إجازة مخ؟

سحب ثم نفث بإحترافية ثم زاغ البصر وهو ينظر إلى جهة (عمصة) ثم قال:

- وكالة عن أمة "لا إله إلا الله".

*** * ***

الساعة الآن العاشرة، و(عمصة) في فراشة يشاهد الأخبار، لم يكن هناك جديد، الهم والغم والحروب والمشاكل في كل بلد وفي كل مكان من بلاد العرب والمسلمين، وغدا يوم آخر مع ابن أمه، كان شابا محترما ومساعدا، ولكنه يدقق في كل شيء، لا يهمه إنجاز العمل بقدر كيفية إنجاز العمل تبعا

لأفضل الطرق، والأجر الذي يعطيه أفضل من (كمشة) وأقل من المطلوب، ولكنه كما وعد "هذه البداية فقط"..

قطعت أفكاره ومشاهدته نافذة التنبيهات في هاتفه ونصها يقول "أهلا بك في عالم المغامرة والمخاطرة من جديد"

أكثر من ثلاثة أسابيع انقضت منذ ذلك الامتحان، حتى ظن أنه فشل في الامتحان أو أن المتقدمين كثر وفاته الدور،ثم تأتي هذه الرسالة لتعيد إليه الأمل.

انتقل إلى البريد الإلكتروني ليقرأ الرسالة، ومرة أخرى تنزيل برنامج آخر، كلا.. هذه المرة الأمر مختلف، أنه لعبة، لعبة أشبه بلعبة المغامرات الشهيرة التي تقوم بها فتاة، اللعبة تخبره أن هذه محاكاة وأن اتخاذ القرار فيها مرهون بوقت محدد أو ستختار اللعبة القرار بنفسها، اضغط زر "التالي" لتبدأ.

بدأت اللعبة برجل ينحدر بقوة على منحدر جليدي، وتعليمات في أعلى الشاشة تخبره كيفية التحكم في بطل اللعبة، أخذ (عمصة) يحاول إبطاء اندفاع البطل، حتى ظهر أمامه هوة عميقة وحبل يمتد بشكل مستقيم من الحافة القريبة للهوة إلى الحافة البعيدة للهوة، ولكنه يبتعد عن يسار البطل خطوتين، في نفس الوقت اندفعت طائرة مروحية أمام البطل، هنا ابطأت اللعبة وظهر مؤشر للوقت يعد تنازليا، ويطلب من اللاعب أن يختار بين المروحية أو الحبل أو الهوة، بسرعة اختار (عمصة) المروحية ليبدأ مشهد جديد ولكن داخل المروحية واستمرت اللعبة بين خيارات أو أحاجي حتى

انتهت إلى الصراع النهائي مع وحش النهاية، وهو المشهد التقليدي في أكثر الألعاب.

كانت لعبة قصيرة جدا، انتهى منها خلال أربعين دقيقة، ولكن بدلا من ظهور أسماء فريق العمل في النهاية، ظهرت قائمة من الأسئلة مع طلب بضرورة الإجابة في الوقت المحدد.

***لماذا اخترت المروحية بدلا من الحبل؟**

***لماذا اخترت الاستسلام بدلا من القتال والسيطرة على المروحية؟**

أسئلة حول قراراته واختياراته في اللعبة، وكالعادة في النهاية تم شكره على اهتمامه مع وعد بالرد قريبا.

أغلق الهاتف وأوسد رأسه إلى كفيه وراء رأسه، لقد عاد الأمل، ولكن هل هو أمل صادق أم كاذب؟

*** * ***

3- مصر

نظر (ابن أُمّه) إلى عمل (عمصة) والرضى يسترق النظر من عينيه، وقال:

- سلمت يداك يا (عمصة)، غيرك يحتاج شهرين حتى يفهم الشغل وأنت في أسبوعين صرت معلما.

لم يتوقف (عمصة) عن خلط مؤنة البناء وهو يستمع إلى (ابن أُمّه)، وقال:

- كله من فضل الله ثم فضلك يا معلم.

لا، (ابن أُمّه) ليس كما تتخيله، كان شابا أسمر ونحيفا ويضع نظارة طبية، يرتدي ملابس ملطخة بكل ما هب ودب من الأصباغ والأسمنت وسواهم.

شاب هادئ الملامح، ملامحه تخبرك بأن فيه نبل وأخلاق، هذا ما يبدو منه فإن كان غير ذلك فالله أعلم به.

قال (ابن أُمّه) وهو لا يزال يتفقد ما انجزه (عمصة) بنظره:

- إن شاء الله، الأسبوع القادم سأوكل إليك بعمل تنجزه كاملا بنفسك.

وضع (عمصة) مؤنة البناء في قُفَّة وقد أسعده كلام (ابن أُمّه)، واستقام وهو يقول:

- شكراً يا معلم، وإن شاء الله ستجدني من أفضل العمال عندك.

ابن أمه وهو ينظر من النافذة:

- أنت ابن حلال وإن شاء الله ستنجح في عملك بسرعة.

و (عمصة) يضع مؤنة البناء في مواضعه:

- الشغل معك يا معلم أفضل من ألف جامعة وشهادة، تدرس وتتعب وفي الآخر تجلس في البيت.
زلة لسان، زلة لسان.. زلة لسان لم ينتبه لها (عمصة) إلا حين سمع حشرجة صوت (ابن أُمّه) يقول:
- أنت خريج جامعة؟
فالتفت إليه (عمصة)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما هذه الخلقة؟ هذا وحش أم غول؟ لم يبق من (ابن أُمّه) شيء يذكرك به قبل هذا التحول الرهيب، وهنا بكل حوله وقوته قال (عمصة):
- لا يا معلم، لا لا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله، أي جامعة وأي شهادة؟ أعوذ بالله، أنا أقصد أننا أحسن منهم، أصحاب الشهادات، هو يدرس ويتعب ويجلس في البيت كالنساء، وأبوه ينفق عليه، لكن نحن نختلف، نحن رجال، ندخل في العمل فورا دون شهادة، ونصبح أفضل منهم.
استمر المشهد على حاله برهة حتى بدأ (ابن أُمّه) يعود لآدميته ولكن الشك في عينيه لم يزل ويمنعهما من العودة لطبيعتهما وقال في صوت ذئب متحشرج لو أن الذئاب تتكلم:
- هل أخبرك أحد عني شيئا؟
(عمصة) وكلماته تفترس بعضها:
- كل خير يا معلم، كل خير، ابن ناس وصاحب صنعة.. - ترrن.. ترrن..-
وأخلاق عالية، كل خير - ترrن.. ترrن.. -

استمر (ابن أُمّه) يحدق إليه برهة وكما تفعل الوحوش استدار وترك المكان، والهاتف يواصل الرنين.

كلا.. ليس جبانا.. ولكن الحياة صعبة.. وفرص العمل قليلة.. و(ابن أُمّه) أفضل الخيارات المتاحة لو تجاهلنا مسألة التحوُّل الوحشي.

زفر (عمصة) والتقط هاتفه، رقم دولي؟ المتصل من خارج البلاد؟ من له خارج البلاد؟ كل من يعرفهم معه هنا، ليس في الدولة بل في مدينته وضواحيها، رفع الهاتف إلى أذنه وهو يضغط زر قبول الاتصال.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الأستاذ (عاصم همام)؟

صوت هادئ رزين لرجل يتأكد من صحة قناة الاتصال، هذا يعني أنه المقصود، إذن؟ ليجب:

- و عليكم السلام ورحمة الله، صحيح يا أستاذ.

- معك الدكتور (مختار عرابي) المسؤول عن مسابقة اختيار المستكشفين.

كلماته أشبه بماء بارد غسل الشك والغيظ من صدر (عمصة)، وغمره الارتياح رغم أنه لا يعرف سبب الاتصال.

- أهلاً وسهلاً يا دكتور (مختار).

- ألف مبارك يا أستاذ (عاصم)،لقد نجحت في جميع الاختبارات وتم اختيارك..

لم يسمع (عاصم) باقي الكلمات والفرحة تحمله فوق السحاب وترسم له أحلى الأحلام و...

- أستاذ (عاصم).. أستاذ (عاصم).. هل لازلت على الخط.. آلووو

- نعم يا دكتور (مختار)، نعم اسمعك، معذرة، الخبر أسعدني جدا.

الدكتور (مختار) وهو يضحك:

- أعرف شعورك يا أستاذ (عاصم)، ولا أريد أن أخيب آملك ولكن تبقى امتحان أخير لاجتيازه.. اختبار القدرات والمهارات البدنية.

- اختبار آخر؟

- الاختبار الأخير يا أستاذ (عاصم)، المهم الآن، هل معك جواز سفر؟

- جواز سفر؟ الحقيقة.. لا.

- كم من الوقت تحتاج لاستخراجه؟

- احتاج أسبوعين إلى شهر.

- رائع، سأرسل لك رسالة على بريدك الإلكتروني حتى تعرف بريدي، وعند حصولك على جواز السفر تخبرني عن طريق البريد، موافق؟

- بالتأكيد يا دكتور (مختار).

- الآن سأنهي الاتصال وسانتظر منك الرسالة، أي خدمة أو استفسار يا أستاذ (عاصم)؟

- سؤال واحد يا دكتور(مختار).. عن تكاليف الرحلة.. من..

قاطعه الدكتور (مختار) وقال:

- حين تحصل على جواز سفرك سنتكلم عن التفاصيل يا أستاذ (عاصم)، وبخصوص التكاليف لا تقلق.

*** * ***

جميل.. رائع.. سعادته لا توصف وهو يقلب صفحات جواز سفره، (عاصم).. نعم.. مع الأسف الشديد يبدو أن (عمصة) سيرجع إلى اسمه القديم (عاصم).. مع الفخر الشديد والسرور العالي؟ كلا.. لا أظن ذلك إلا إذا كنت تعرف أكثر مني.

هذا الرائع استغرق ثلاثة أسابيع وكلّفه أجرة نصف شهر من العمل الشاق، الآن عليه أن يجد مكانا يوفر خدمة الإنترنت حتى يُرسل رسالة إلى الدكتور (مختار)، أنه لا يملك الصبر حتى يعود لبيته، سار وهو يبحث بعينيه حوله، طبعا وجد كثيرا من الأماكن ومقاهي الإنترنت، ولكن ثمن الدخول هو كأس شاي على الأقل، ماذا يعني كأس الشاي؟.. في هذه الأماكن ثمن كأس الشاي يعني أجرة عمل يوم كامل.

أخيرا وجد المقهى الذي يناسبه، أغلق الباب خلفه وأخرج هاتفه وأمه تقول:

- ما لك يا (عاصم)؟ رجعت قبل الظهر، أنجزت عملك؟

و أصابعه تتقافز على شاشة الهاتف وعيناه تبحثان عن رسالة الدكتور (مختار) في صندوق الرسائل:

- اليوم إجازة يا أمي الغالية.

- إجازة؟ وخرجت بدون إفطار.

- مسألة ضرورية ومستعجلة.

- يوجد غلاية شاي، تشاركني؟

- بالطبع يا أمي.

ها هي.. رد على المرسل.. "أستاذ (مختار)، حصلت على جواز السفر اليوم" و.. إرسال.. ما هذا؟ لا سلام أو تحية.. أستاذ بدلا من دكتور.. دون سؤال عن الخطوة التالية.. حاول إيقاف إرسال الرسالة، ولكن البرنامج أظهر رسالة واضحة "تم إرسال الرسالة"

ما حدث قد حدث.. ليس بالشيء الكبير.. ربما تعتبر فظاظة في الأسلوب.. أو تعتبر لهفه وتسرع.

*** * ***

مصر؟ تجمع المستكشفين سيكون في مصر؟ لم يتوقع ذلك أبدا، كان يتوقع الذهاب إلى دولة تقع على الحدود الغربية لإحدى القارتين الأمريكيتين أو دولة على حدود قارة آسيا الشرقية.. لكن مصر؟.. وسط العالم كله.. هل أخطأ التصور؟ كان يظن أنه سيرتحل من حافة العالم الغربية أو الشرقية في خط مستقيم، فإن وصل للطرف الآخر المعلوم للجميع، فهذا يعني أن الأرض كروية وستنتهي الرحلة في غضون أسبوع أو حتى شهر، وإذا سار إلى أراضٍ جديدة فهذا يفتح الباب واسعا أمام فكرة الأرض المسطحة، والاحتمالات جميعها تفتح له الباب لفرص لا تعد.

كيف ستكون رحلة إعادة استكشاف حدود العالم من مصر؟ الانتقال منها للشرق أو الغرب سيكون مكلفا وسيهدر وقتا طويلا، البدء من حافة العالم المعروفة أفضل وأسرع وأقل تكلفة.

كانت هذه الأفكار تغلي في رأس (عاصم) وهو يقرأ هذه الرسالة من هاتفه في حجرته الساعة التاسعة ليلا، الرسالة التي حملت له هذه المفاجأة، الأمر الجيد أن تكاليف الذهاب والعودة مدفوعة للجميع، ذهاب وعودة؟

هل سيتجمعون في مصر ثم يعود كل إلى وطنه؟ لماذا؟ ما هدف التجمع في مصر إذا كانوا سيعودون؟

هذه الأفكار جعلها أسئلة بعثها في رسالة سريعة للدكتور (مختار).

الآن الحديث إلى والديه حول هذا الأمر، كيف سيكون تقبلهم لهذا الأمر، الآن الساعة التاسعة والنصف، لا ريب أنهما يتحدثان في بَهْو البيت أو يشاهدان شيئا ما على الشاشة الكبيرة.. لا، لن ينتظر.. سيذهب لهما الآن.

*** * ***

الأمور أكثر من ممتازة، إذا هي ممتازة جدا؟ أكثر من ممتازة فقط وليس جدا، استقبل والداه الأمر بهدوء وطرحا الكثير من الأسئلة عن ذهابه وسببه والتكاليف، وأخبرهم أنها رحلة لمجموعة من الشباب بغرض الترفيه وأن التكاليف مدفوعة.

طبعا سُر والده وأصبح في قمة السعادة حين عرف أن التكاليف مدفوعة وأنه ليس مطالبا بشئ، ولم يبق له أي اعتراض، أما أمه فلم تعترض على ذهابه أو على الرحلة ولكن اعترضت بقوة على رفاق السوء الذي سيذهب معهم، الذين لا عمل لهم سوى تدخين السجائر والنارجيلة والمخدرات ومطاردة الفتيات ومصاحبة المائعات، والنوم حتى الظهيرة، لا عمل لهم ولا مصلحة.

غريبه.. كيف علمت أمه بشأن رفاقه قبل أن يعرف هو، هل اتصل بها الدكتور (مختار) وأخبرها عن أخلاق رفاقه، لابد أن يعرف والمعرفة تحتاج إلى سؤال:

- أمي هل تعرفين من سأذهب معهم؟

- لا.

- إذا كيف عرفت أخلاقهم؟

- هه..لابد أن أخلاقهم كأخلاق شباب اليوم.

- ااااه.. تقصدين مثل أخلاقي؟

- أخلاقك؟ من في الدنيا مثل أخلاقك، أدب وأخلاق ودين.

- أنا من شباب اليوم يا أمي.

- لا.. لا.. أقصد الشباب الآخرين وليس أنت، الشباب الشباب الضائع المائع.

- و لماذا لا يكون الآخرون مثلي؟

- يا بني وهل في الدنيا مثلك، هو (عاصم) واحد فقط.

هنا تكلم أبوه وقال:

- دعيه يذهب ويعيش يومين يا (عزيزة)، إن شاء الله كل رفاقه أولاد حلال.

شكراً للدعم الفني يا حاج وبسرعة قال (عاصم):

- الله يبارك فيك يا والدي، اسمعي كلامه يا حاجة وقلبك أبيض وحنون.

لم تجد أمه ما تقوله فقالت:

- اتفقتم علي، اذهب يا (عاصم)، اذهب وبالمرة ابحث عن (عزيزة) ثانية تقول لها يا أمي.

وهو يقبلها على خدها:

- و هل يوجد في الدنيا إلا (عزيزة) واحدة يا عزيزة يا أمي الحبيبة.

- اسمع كلامك فيعجبني، أشاهد أمورك فاستغرب، ومن يحب لا يترك حبيبه.

- يا أمي، هل سأذهب لآخر الدنيا؟ أنا سأذهب إلى آخر شارعنا، بجوار بقالة عم (بكر).

- يا عيني، لماذا أنت قريب هكذا؟، اذهب ابعد قليلا، على الأقل كي نشتاق لك.

- حاضر يا أغلى الغوالي، أمريكا تناسبك؟

- ولد... بقالة عم (بكر) وترجع.

- حاضر يا ست الكل.

مسكينة.. لا تعلم أنه فراق طويل.. طويل جدا.. ورحلة إلى حدود لا تعلمها هي.. ولا زوجها الطيب.. ولا أكثر الناس.. لكن دعنا لا نخبر أحدا بذلك.. حتى (عاصم)؟.. حتى (عاصم).. لا نريد للقصة أن تنتهي قبل أن تبدأ.

* * *

فخامة.. فخامة.. فخاااامة.. يا أخي دع عنك بيت ابن خالتك.. وبيت ابن عمتك.. وبيت ابن جدتك.. أقول لك فخاااامة.. فخامة تحتاج مالا.. مالا كثيرا.. مال قارون.. باختصار بهو الفندق فقط يحتاج أن يعمل (عاصم) مع (ابن أمه) ثلاثة قرون وثلاثة شهور وثلاث أسابيع وثلاث ساعات وثلاث دقائق وثلاث ثواني.. حتى يستطيع شراء الأثاث فقط.. نعم أحصيتها بالآلة الحاسبة.

و هل تعلم ما المصيبة؟ المصيبة أن الفندق الذي يجلس (عاصم) في بهوه هو فندق ثلاثي النجوم، هذا يعطيك فكرة عن الأماكن التي دخلها هذا المسكين في حياته كلها.

جاءته العاملة في البهو، طبعا عاملة، مؤنث وليس مذكر، تسأله في لطف إن كان يرغب في تناول شيء ما.

شيء ما؟ النصائح التي تلقاها من الدكتور (مختار) تقول أن الفندق للنوم فقط، طبعا.. إذا كانت قارورة الماء التي بالكاد تكفي شربة واحدة، ثمنها يعادل أسبوع من العمل الشاق، لذلك قال لها بابتسامة لطيفة "شكرا"

لننتظر قليلا حتى يهدأ وجيب قلبه وتعود له أنفاسه، ويستعيد بصره، حسبنا الله ونعم الوكيل في كل من اسمها (حسنية).

جارته تريد أن تزوجه ابنتها (حسنية)، المسكين لا يعلم أن (حسنية) لا بأس بها، ولكن لن تبلغ ربع جمال هذه. والحقيقة أن (حسنية) أجمل من هذه ألف ضعف، لكن المسكينة (حسنية) لا تملك المال لشراء الأحمر والأخضر والأزرق وباقي الألوان والذهاب كل يومين إلى مصففة الشعر

وطبعا الذهاب لصالة الألعاب الرياضية مرتين في الأسبوع، المسكينة الألوان التي تحصل عليها الأبيض حين يتناثر ماء الغسيل برغوته البيضاء على وجهها، والأسود حين يتطاير الهبو عليها، أحيانا تحصل على الأحمر من الطماطم والأخضر من الخيار، ورياضتها الصلاة والعجن والطهو والغسيل والطعام، ومصففة شعرها هي أمها حيث تغسل لها شعرها بالزيت.

طبعا (عاصم) كأكثر الشباب لا يعلم الفرق بين التقية النقية المجاهدة التي تبني البيوت وبين التي هي مجرد زينة لا قيمة لها باستثناء جمالها فقط.

مع الأسف لا يفيق أكثرهم من هذا إلا متأخرا، حين تذهب السكرة وتأتي الفكرة ويعرف الفرق بين (سوسو) و(سعاد) ولا يهم الفرق بين (ق) و(ك) و(ء) في الكلام، ولا يهم الفرق بين أحجام الصدور بقدر اتساع القلوب، ويدرك حين يفيق أن أطفاله يحتاجونه أبا وأما وحاضرا داخل البيت وخارجه لأن اللؤلؤة مشغولة بآخر صيحات الموضة والمسلسلات والفنانة فلانة التي قامت بزيادة حجم... احم(70+)[1]، ليت هذا الأحمق يفيق قبل فوات الأوان، لكن نظرة هذا الأحمق تخبر أنه سيفعل هذا الخطأ، أحمق..

تأمل (عاصم) في من حوله في بهو الفندق، كان هناك أسرتان مع أطفالهما وخمسة شبان وقد وضع كل منهم حقيبته بجواره كما يفعل، اثنان منهم حضرا معه من المطار إلى الفندق بالأمس، ويبدو أن أحدهم من الجزائر والآخر من اليمن، أما الباقون فلا يعلم عنهم شيئا.

---

[1] تم حذف الكلمة لأنها فقط لمن هم في السبعين فما فوق.

لقد نام الليلة نوما عميقا، واستيقظ مع الفجر مفعماً بالحيوية والنشاط في حجرة واسعة وحده بدون (سامح)، لا ريب أن (سامح) مسرور بدوره، ويدرس بصوت عالٍ.

تمنى أن لا يتأخر الدكتور (مختار) عن موعده، لقد شارفت الساعة على العاشرة.

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

أنها لا تتغير ابدا..

هل تعطل الهاتف؟..

الحمد لله..

العاشرة وتسع وخمسـ...

- الآستاذ (عاصم) ؟

رفع رأسه عن الهاتف ليجده أمامه، تماما كما في الصورة المرفقة مع رسالته الأخيرة، الدكتور (مختار) بلحيته الكثة ونظارته وملامح قاربت الخمسين.

ملهوفا نهض (عاصم) وهو يمد يده ليصافح اليد الممدودة إليه ويقول:

- صحيح، الدكتور(مختار) ؟

بملامح مرحة وابتسامة واسعة تشي بنفس كريمة:

- إن لم أكن فالصورة مزيفة.

الارتياح والسرور انتزعا ضحكة كبيرة من صدر (عاصم)، ووجد أنه والدكتور (مختار) محاطين بالشباب الخمسة، وهم يتبادلون التحيات ويقدمون أنفسهم.

- (حذيفة)، موريتانيا.

- (عبد الرحمن)، الجزائر.

- (فتحي)، اليمن.

- (محمد)، مصر.

- (عمر)، العراق.

- (عاصم)، بلاد الله الواسعة.

نظر إليهم الدكتور (مختار) وتحقق منهم جيدا، ورسم وجهه سؤالا "مستعدون؟ "، وردت عليه رؤوسهم بالإيجاب.

* * *

4- الضياع

- الفندق كان ضروريا حتى يسهل عليكم الوصول واللقاء، لكن الإقامة فيه مكلفة للغاية، وأمامنا رحلة طويلة تحتاج تكاليف ضخمة، لذلك الإقامة في شقة ستكون أفضل وأوفر.

قال الدكتور (مختار) تفسيره لمسألة الفندق وهو جالس بجوار السائق في الحافلة الصغيرة التي تتسع إلى اثني عشر راكبا، وهي تنطلق بهم في شوارع القاهرة إلى الشقة.

هنا وجد (حذيفة) أن الكلام المهم الآن مقامه، فقال بما يدور في باله بالعربية الفصحى:

- أنني آراه قد ناء بحمله.

التفت إليه الجميع باستثناء السائق، ونصف التفاته من الدكتور (مختار)، ولم يسأله أحد ماذا يعني، ولكن وجوههم أخبرته أن أكمل يا هذا، فأكمل:

- جبال من المال تقسم ظهره، بالحب قال خذوه، لي مهلكة وللعالمين هداية، فسألتكم وفي القلب لهفة، من هو؟

كلا، لم تتغير تعابير وجوههم ولم تستدر، لا تزال تنظر إليه وتسأله بدون كلام، ماذا تقول؟

هنا حك (فتحي) قمة رأسه في حيرة والحيرة في قلبي أنا، وقال:

- أخي.. أتتكلم العربية؟

امتعض (حذيفة) وكيف لا يمتعض، أبعد هذه العربية عربية أخرى، فقال موضحا:

- سألت الضاد عن أنيسها، نادت وبالعشق ما لي سواك.

هنا حك (عمر) قمة رأسه بدوره وقال:

- وبالعشق ما لي سواك!

هنا يجب أن يتكلم (عاصم)، ولا داعي لحك قمة رأسه، حك وجنته من باب التجديد وقال:

- هل تقول شعرا؟

قال (عبد الرحمن) وهو يحك ذقنه، يبدو أن الجرب أصابهم أو أن هناك أمر لا نفهمه جميعا:

- لا أظن ان هذا شعرا.

من باب رحمة الله بنا وبعموم خلقه، أنطق الله الدكتور (فتحي):

- هل تسأل من يمول هذه الرحلة؟

أوشكت الدموع أن تطفر من عيني (حذيفة) وبالسرور قال:

- قرأت قلبي والكلم شروح وفهمت مرادي والعين فضوح.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كلا.. لا يوجد تغيير في المشهد، عيون الخمسة لا تزال مسلطة على وجه أخينا الموريتاني، ولكن (عمر) حرك المشهد قليلا:

- أتمنى أن تسألني يوما عن الطريق إلى المرحاض.

و أنا كذلك أريد أن أعرف، طبعا الدكتور (مختار) كان سعيدا ويضحك ويقول:

- الرحلة يتم تمويلها من قبل جهات تؤمن بالأرض المسطحة مع جهات تؤمن بكروية الأرض، لإنهاء الجدل حول هذا الموضوع، الاتفاق بين الطرفين يتضمن تفاصيل كثيرة لا تهمنا كعلماء أو مستكشفين، ولكن تهمهم كثيرا من نواحي مادية.

هنا تكلم (محمد) الذي طال صمته حتى نسيته:

- و على ماذا سنحصل نحن من هذه الرحلة؟

- المجد.

انطلقت الكلمة كالقذيفة من بين شفتي (فتحي)، ويبدو أنها مؤثرة جدا حتى انها هزت الباقين فكرروا خلفه:

- المجد!

طبعا في عصور ما قبل الإنترنت كان المجد يأتي أولا ثم المكاسب المادية، بل أن أكثر الحالات يكون المجد سببا في جلب المكاسب المادية.

لكن في زمن الإنترنت! يا عيني، المال يأتي أولا وأخيرا وما بينهما، لا أظن أن المجد سيطعم أحدنا لقمة.. جعااان.. خذ شطيرة مجد.. عطشاان.. هاك قارورة مجد.. إيجار البيت.. ثلاث قطع مجد.. يا عيني..

رفع (عمر) سبابته وقال:

- المجد.. نعم المجد.

لابد أن يكون بينهم عاقلا، هؤلاء سيخربون القصة في بدايتها، والحمد لله تكلم (عاصم) وقال:

- المجد أمر عظيم، ولكن نحتاج أن نأكل ونشرب ونبني بيوتا ونتزوج.

استحسن (محمد) حديث (عاصم)، هذا هو الكلام.. هذا هو العقل.. الآن عليه أن يعزز موقف (عاصم)، لذلك سيقول:

- ما يقوله (عاصم) هو الصحيح، المجد أمر عظيم ولكن المال من ضروريات الحياة اليومية.

كان الدكتور (مختار) في عالم آخر، حيث تلعب الحملان مع الذئاب وتلتقط العصافير الحب من أيدي العابرين، لأنه لا ينفك يبتسم ويضحك من حديثهم

- معنويات عالية جدا- وقال:

- لا تقلقوا، كل الأمور معدة جيدا، ولدي مفاجأة جميلة لكم، ولكن في البداية يجب الاطمئنان لقدراتكم ولياقتكم البدنية.

خرجت الحافلة الصغيرة من المدينة المزدحمة إلى مناطق رحبة، حيث أخذت المنازل تتباعد والأشجار تتزاحم والخضرة تطل برأسها.

*   *   *

توقفت السيارة أمام بناية من أربعة طوابق، وقد احاطتها حديقة صغيرة، وقال (مختار) - أعتقد أن الجميع عرف أنه دكتور -:

- هذا مسكننا في الأسبوعين القادمين.

جاء رجل خمسيني يركض من مدخل البناية وهو يرحب بهم، ويبدو أنه يعرف الدكتور (مختار) جيدا، لأن هذا قال ليعرفهم به:

- (عوض)، بواب وهو المسئول عن تلبية طلباتكم.

حاول (عوض) أخذ حقائبهم ولكنهم اصروا على حملها بأنفسهم، ومضى يتقدمهم إلى شقة في الطابق الثالث.
البناية في حالة ممتازة من النظافة والترتيب وشقتهم مجهزة لاستقبالهم، وقد فُتحت النوافذ للتهوية، واستغرقوا نصف ساعة لتقسيم غرف النوم ووضع حقائبهم، في حين جلس الدكتور (مختار) يتحدث مع البواب في البهو، وانضموا إليه بعد أن فرغوا.
نهض (عوض) ليغادر وهو يبدي استعداده لتلبية طلباتهم.
بجدية هي ربما لأول مرة تظهر على وجه الدكتور (مختار) منذ أن قابلوه، قال:
- من منكم يؤمن بالأرض المسطحة؟
بحذر كأن هناك شرك أو شيء ما رفع (عاصم) و(عمر) و(فتحي) أكفهم.
و الجدية تتشبث بملامحه قال الدكتور (مختار):
- رائع، الرحلة تحتاج إلى تنوع واختلاف في التصور، الآن إلى النقاط الهامة.

*** * ***

- (عاصم) (عاصم) أصح يا أخي، (عاصم) (عاصم).
من هذا الذي يوقظه، أنه لم يأخذ كفايته من النوم... فتح عينيه ليجد (فتحي) و(محمد) و(حذيفة) و(عبد الرحمن) و(عمر) ملتفين حوله

وعيونهم عليه، الغريب أن ضوء النهار يبدو واضحا ويخبر أن الوقت يدنو من الظهيرة، كيف لم يستيقظ لصلاة الفجر؟ هل كان متعبا لدرجة عدم الاستيقاظ لصلاة الفجر؟ وماذا هناك يستوجب إيقاظه؟ أنه يذكر السهرة الممتعة مع الدكتور (مختار) والشباب، لقد كانت رائعة.. هنا وجد ورقة بيضاء مثل التي تستخدم في الطابعات المكتبية يمسكها (محمد) بين يديه ويضعها أمام وجه (عاصم).

"سامحوني وشكراً على الهدايا يا حلوين..

مختاركم للخدمات السريعة..

وزززززز"

وززز؟.. ما وززززز هذه؟.. آآآه.. تعني مؤثر صوتي كناية عن السرعة.. كلام جميل.. يبدو أن الدكتور (مختار) رجل أعمال..

- هذا شرب المحيط الهادي بأكمله بالأمس.

هذه من (عمر)، في حين أمسك (فتحي) كتفه وشرع يهزه وهو يقول:

- أفق، الله يهديك، انظر للمصيبة التي نحن فيها.

سمع صوت (عبد الرحمن) يأمرهم بأن يفسحوا، ليجد كأس من الماء البارد يُصب على وجهه و(عبد الرحمن) يقول:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

اعتدل في فراشه وهو يشهق، ونظر إلى وجوههم ونظر إلى الورقة.. ونظر إلى الورقة ونظر إلى وجوههم.. الآن وقت الكلام:

- ماذا هناك؟

تكلموا في صوت واحد فلم يفهم شيئا، فأصواتهم كنقنقة الدجاج، هنا أشار لهم (عمر) بالصمت والتفت إلى (عاصم) يقول:

- مختار...

- الملعون (مختار)...

هذه من (محمد)..

- أنيس درب وأنا من المنايا دونه، فإذا هو للخديعة نديما، يقرع الكأس ومن دمي يملأه.

هذه من (حذيفة)، وهنا التفت له الباقون وقال (عبد الرحمن):

- (حذيفة).. ليس وقتك أبدا..

فرك (عاصم) وجهه بقوة كأنه يريد تغيير جلده:

- ماذا حدث، لا أفهم شيئا.

(عمر) يجلس على فراش (عاصم) ويرفع كفيه ليهدئ الجماهير الغاضبة و.. قال:

- (مختار).. اللعين.. الوغد.. سرق كل اشيائنا وهرب.

حدق (عاصم) إليه وشخص ببصره.. انتظر.. انتظر.. الآن حان الوقت.. ويهتف (عاصم):

- ماذا؟

قال (فتحي) ليؤكد:

- لم نعد نملك من هذه الدنيا سوى ثياب النوم التي نرتديها.

التفت إليه (عاصم) وكرر:

- ماذا؟

ما هذه البلادة؟ ماذا؟.. ماذا؟.. ومد (محمد) له بالورقة مرة أخرى فأمسكها، وقرأ ما فيها مرة أخرى ونفض رأسه وقال:

- مستحيل.

(عمر) والغيظ يشويه شيا:

- لماذا مستحيل؟ لقد سرق أشيائنا فعلا وهرب.

رد (عاصم) بسرعة تحسده عليها السلاحف:

- لأنه سيكون أغبى لص في العالم.. بل في التاريخ.

قعد (فتحي) على السرير المقابل لسرير (عاصم) وقال بتأني يشكو منه التأني:

- الآن وأنا انظر للأمر وأقلبه في ذهني وأتذكره من البداية، أجد أن ما يقوله (عاصم) هو الصحيح.

جملته كانت أشبه بكأس ماء بارد سُكب على وجوههم، نعم مثل الكأس الذي سكبه (فتحي) على وجه (عاصم)، وكالأفيال المُتعبة قعد (محمد) و(عمر) على حافة سرير (عاصم)، أما (حذيفة) و(عبد الرحمن) قعدا على السرير الآخر مع (فتحي)، السرير الآخر لـ (حذيفة).

قال (محمد) والوحيد فيهم الذي يميل للبدانة:

- الحقيقة أن يتم تدبير الأمر كله من أجل خداعنا والاستيلاء على أشيائنا البسيطة، يجعل الأمر في غاية الغباء، الامتحان.. اللعبة.. تذاكر السفر.. الفندق.. ثم هذه الشقة، ولكن لماذا؟

قال (عمر) بسرعة:

- المرحلة الثالثة.

بسرعة قال (حذيفة) قبل أن يذهب دوره في زحمة الأبطال:

- صحيح، الدكتور (مختار) ~ يبدو أنه عاد من وغد إلى دكتور ~ تحدث عن المرحلة الثالثة التي تتعلق بالمهارات البدنية واللياقة.

(عبد الرحمن):

- تحدث عن ضرورة اكتساب مهارات السباحة والتسلق وضرورة تعلمها بسرعة.

(فتحي) وهو يشير الورقة التي لا تزال في يد (محمد):

- ربما تكون هذه البداية.

نظر (محمد) إلى الورقة كأنه أول مرة يراها، يبدو أنه نسي تماما أمرها وقال:

- أي بداية؟ كيف ستعلمنا هذه الورقة السباحة والتسلق؟

بسرعة قال (عبد الرحمن):

- ربما ستهدينا إلى الدكتور (مختار) في البداية.

(عمر):

- ولكن ليس فيها سوى رسالته التي يسخر فيها منا.

نهض (حذيفة) واقترب من (عاصم) وهو يلوح بسبابته في وجه (عاصم) وقال:

- حرباء.

ردد (عاصم) وراءه:

- حرباء؟

هذا الذي اخترته ليكون الزعيم رقم صفر الذي لا يعرف حقيقته أحد، أنه أبله.. لا يصلح حتى أن يكون الزعيم سالب واحد، لا عمل له سوى تكرار ما يقوله الآخرون.

كرر (حذيفة) وهو مستمر في التلويح بسبابته:

- حرباء.. حرباء خبيثة.

لا أعلم ما المشكلة فيهم، الكل يكرر..

بسرعة أخذ (فتحي) الورقة من يد (محمد) وأخذ يقرأ بصوت عال:

- سامحوني وشكرا على الهدايا يا حلوين، مختاركم للخدمات السريعة، وزززززز.

قال (حذيفة):

- أنا أشك في (وززززز).

نهض (عاصم) من فراشه وهو يقول:

- ما يشغلني الآن هو صلاة الفجر، سأصليها قضاءً، حتى استطيع التفكير في مشكلتنا.

نظر بعضهم إلى بعض، لقد انستهم الحادثة قضاء صلاة الفجر، سيصلوا وحين يصلوا إلى الدكتور (مختار)، سيجعلونه يصلي عنهم إلى قيام الساعة.

*** * ***

- عوض.

خرجت هذه الكلمة من (محمد) و(حذيفة) في نفس اللحظة وهم جميعا جلوس في بهو الشقة، وهم يرفعان سبابتيهما أمام وجهيهما، كنت أظن هذه العادة خاصة بـ (حذيفة)، ولكن يبدو أنها معدية، فقد أصابت (محمد). لكنها كانت كالسحر فقد نهضوا جميعا باستثناء (عاصم)، وبدون كلام ركضوا نحو باب الشقة أصواتهم يطحن بعضها بعضا.

- كيف نسيناه؟

- أنه من يعرف الدكتور (مختار)..

- لابد أنه يعرف شيء عنه..

- سأضربه حتى يعترف بكل شيء.

- سأجعله يكتب أسماء أمة لا إله إلا الله إلى أبينا آدم عليه السلام..

بقي البليد وحده ممسكا بالورقة التي كتبها الدكتور (مختار)، يقرأ ويتأمل.. يتأمل ويقرأ..

ثم بحث عن شئ ما، وأخيرا أمسك بملعقة السكر وعلى الجدار النظيف بدأ يخط بعقبها شيء ما..
يا سلام.. يفسد جدارا نظيفا كي نعرف أنه ذكي ويجيد الكتابة..

*** * ***

كلا.. لم يختف (عوض)، بل كان واقفا على باب شقة في الطابق الأرضي، ويمسك كأسا من الشاي يرتشفه بهدوء واستمتاع ويتحدث إلى رجل مسن، يبدو أنه ساكن هذه الشقة، حين فوجيء بالشبان ينزلون ركضا على السلم ويحيطون به.
لا، أنه لا يعرف شيئا.. أنه بواب هذه البناية، والدكتور (مختار) أوصاه أن يرعى شقتهم في هذه البناية، وأن يقوم برعاية قاطنيها لمدة أسبوعين، وأعطاه مقدما أجره وتكاليف الأكل والشرب لساكني الشقة لمدة أسبوعين فقط، هذا كل ما يعرفه (عوض).
و باقي الحكاية عند الرجل المسن، الذي يبدو أنه مالك هذه البناية، وأخبرهم أن الدكتور (مختار) استأجر منه الشقة لمدة شهر، لأجل إقامة شباب سيشاركون في مؤتمر الشباب العربي، وأنه رآه في الواحدة صباحا مع شبان يحملون حقائبا وأغراضا، فظن الرجل أنهم مغادرون، وحين سأل الدكتور (مختار) عما يحدث، قال أن مكان المؤتمر انتقل إلى مدينة أخرى لم يسمها.

و نظر المسن إلى ثيابهم وسأل:

- و لكن ما زلتم هنا!

تمنوا أن يخبروه الحقيقة ولكنهم فضلوا السكوت، وقال (محمد):

- سنلحق به قريبا.

و عادوا أدراجهم يجرون أذيال..

و جاءهم صوت (عوض) يقول:

- إن شاء الله الغداء الساعة الواحدة يا أساتذة.

تعالت همهمات الشكر، أنهم لا يبالون بالغداء في هذا الوقت العصيب، ولكن توفر الطعام والشراب أراحهم..

5- البحث عن الدكتور (مختار)

- نحتاج الاتصال بالسفارة للابلاغ عن سرقة الجوازات والحصول على بدائل مؤقتة.

قالها (عبد الرحمن) وهم لا يزالون جلوس في أماكن صلاتهم، ووافقه (محمد) مؤكدا:

- هذا صحيح، في مصر لا يمكنك السير بدون بطاقة هوية، الحصول على بدائل يجب أن يكون من أولياتكم.

طبعا هو مصري وبطاقة هويته تغنيه عن جواز السفر، في حين أنهم يجب أن يكون معهم ما يثبت هوياتهم.

قال (حذيفة) وأصابعه مشغولة بالتسبيح:

- الآن هناك شيء أهم من جواز السفر والهوية.

قال (محمد) في تأكيد مؤكد:

- لا يوجد ما هو أهم.

أمسك (عمر) بثوب نومه من ياقته وقال:

- بل يوجد.. نحتاج ملابس حتى نستطيع الخروج والذهاب للسفارة.

أراد (فتحي) أن يتكلم لولا قرع على الباب قاطعه، ونهض (عبد الرحمن) أقربهم للباب ليرى الطارق.

الطارق هو البواب (عوض)، يحمل لفائف طعامهم، بعد أن حياهم وضع اللفائف على المنضدة الصغيرة في البهو وأشار إلى لفة صغيرة احتفظ بها، وقال وهو يربت عليها:

- هذه طعام الوز.

لو أنه قال شيء آخر لما حدث شيء، ولكنه قالها فكأنما صعقهم بالكهرباء، فقد انتفضوا جميعا وانتصبوا، حتى أن الرجل فزع وقال:

- ماذا حدث يا رجال؟

أولهم (عبد الرحمن) الذي تمالك نفسه وأخذ يهدئ الرجل ويخفف عنه بالقول:

- لا شيء يا عم (عوض)، ولكن الوز ذكرنا بموضوع نرغب في نسيانه.

ردد الرجل في رهبة ودهشة:

- الوز؟

أكد (عبد الرحمن) كلمته:

- نعم، الوز.

نظر الرجل في وجوههم والدهشة لا تفارقه ثم قال:

- أي خدمة؟

تعالت أصواتهم بالشكر، ودعوتهم له بمشاركتهم الغداء، ولكن موضوع الوز جعل الرجل يفكر في الذهاب فقط، لذا شكرهم وغادر بسرعة، الوز فعل بهم هذا؟ فماذا عن البط؟ أو الحمام؟ أو العصافير؟

ما أن أغلق الرجل الباب حتى نهض (فتحي) يصيح باسمه ويركض خلفه.

*** * ***

يشربون الشاي ويفكرون، يفكرون ويشربون القهوة، يشربون ويشربون، ويفكرون ويفكرون، وهم جلوس في حديقة البناية بعد صلاة العصر، وقد انشغل كل منهم بأفكاره والتي تتفق جميعا في السؤال التالي "كيف نفعل ما نرغب في فعله؟ "

أنهم يحتاجون ملابس ومال وهاتف حتى يستطيعوا التحرك، (محمد) يستطيع تدبير ذلك كونه ابن البلد، ولكنه يحتاج يومين حتى تصل الملابس والهاتف والمال، دعك من الفضيحة، حيث أصبح (محمد) حديث بلدته بأنه تم (تقليبه).

قاطعهم حضور صاحب البناية (مكرم) حاملا كيسا كبيرا، نهضوا لتحيته وألقى السلام ووضع الكيس على الأرض وأشار لهم بالقعود ليجلسوا جميعا على الأرض.

نظر إليهم برهة وتكلم بنبرة من يعرف مصيبتهم:

- ابن حرام، شعرت أن هناك شيئا غير طبيعي، حين رأيته ينزل بأشيائكم في الواحدة صباحا، ولقد ظننت أن من معه هو أنتم.

تكلم (عاصم) بتأني:

- حتى الآن لسنا متأكدين أنه لص يا أستاذ..

- (مكرم).. لستم متأكدين! كيف ذلك؟

أخبره (عاصم) أنه ربما يكون اختبارا في مسابقة الشباب العربي، ولم يذكر شيئا عن الرحلة.

لم يقتنع الأستاذ (مكرم) بحديث (عاصم) ولكنه ربت على الكيس الكبير أمامه وقال:

- هذه ملابس جمعتها لكم بعد أن أخبرني (عوض) أنكم سألتموه بعضها، لست متأكدا أن كانت تناسبكم، ولكن هذا ما استطعت جمعه.

اختلطت أصواتهم بالشكر، وأخرج الرجل من جيبه هاتفا قديما، أكل عليه الدهر وشرب، هاتف من الهواتف الذي هو هاتف فقط، شاشة صغيرة وأزرار تقليدية، وقال:

- هذا هاتف قديم ولكنه يفي الحاجة، فيه شريحة ورصيد يكفي إن شاء الله.

ثم من جيبه العلوي أخرج حزمة مال ومدها إلى (عاصم) وهو يقول:

- هذه من أجل المصاريف.

طبعا الأستاذ (عاصم) تمنع ~ يا سلام يا أخي، وهل هذا وقت كبرياء؟ ~ ولكن الرجل أصر، ونهض (عمر) ليأخذ المال من يد الرجل، ويضعه في يد (عاصم)، وهو يدعو للرجل ومصر وأهلها.

بعد ذلك ساد الصمت بينهم، وكان باديا لهم أن الرجل يرغب في الكلام ولكنه محرج، وهنا تكلم (فتحي):

- يا أستاذ (مكرم).. هل هناك ما يزعجك؟

قال الرجل وهو يغالب إحراجه:

- أنتم تعلمون أنكم الآن بدون هويات أو جوازات سفر تثبت شخصياتكم، وهذا قد يسبب مشكلة كبيرة، خاصة وأنتم شباب من بلاد مختلفة في بناية بعيدة، مما يثير الشكوك حولكم، ويسبب لي المشاكل.

قال (حذيفة) في جهل تام:

- وهل هي مشكلة أن يوجد مجموعة من الشباب في شقة في بناية؟

رد الرجل بسرعة:

- بالتأكيد، مجموعة شباب بدون هويات يقيمون بعيدا عن أماكن الجامعات والمعاهد والأماكن السياحية، لابد أن يثير الشك والريبة، وخاصة أن مصر لا تستورد العمالة الخارجية.

قال (عاصم) وهو ينظر متمعنا إلى السيد (مكرم):

- أستاذ (مكرم).. هل تريد منا أن نترك الشقة؟

هز السيد (مكرم) رأسه في قوة نفيا واستنكارا وقال:

- بل أريد منكم البدء فورا في استخراج بدائل لجوازات السفر فورا، وضرورة إبلاغ الشرطة الآن.

في نفس واحد قالوا:

- إبلاغ الشرطة؟ لماذا؟

نظر لهم مستغربا:

- لأن تقرير الشرطة سيكون إثباتا لحالة السرقة ويكون حجة لكم، كما أن سفاراتكم ستعطيكم بديل مؤقت - إلى حين استخراج جوازات السفر - اعتمادا على تقرير الشرطة وبعض الإجراءات الأخرى.

صفر (فتحي):

- كل هذا لأجل استخراج جواز سفر جديد!

رسم السيد (مكرم) بوجهة أن هذا معلوم ومكرر، وهنا جاء (عوض) يناديه.

التفت إليه الجميع وهو يخص السيد (مكرم) بالحديث:

- سأصعد لأطعم الوز، هل تحتاج شيئا؟

والضيق في وجهه وكلماته ونبراته أجاب:

- لا، شكرا يا (عوض).

وراقب انصراف (عوض) والتفت إليهم يقول:

- منذ اشترى الوز بالأمس ولا عمل له سوى العناية بهم، يطعمهم ويسقيهم، المشكلة أنه يخبر الجميع بما يفعل كأننا نهتم بذلك، لقد ندمت على السماح له بتربيته على السطح.

التقت عينا (عاصم) و(فتحي) في تفاهم ثم التفتا إلى السيد (مكرم) وهو يكمل حديثه:

- إبلاغ الشرطة والحصول على تقرير، سيرفع عن كاهلي عبء وجود غرباء بدون هويات أو جوازات سفر.

(عبد الرحمن):

- لكن الشرطة ستسألنا عن سبب وجودنا هنا؟

أكد السيد (مكرم) قوله الاستفهامي بالقول:

- لذلك يجب أن تخبروهم بالحقيقة، أن (مختار) هذا استضافكم في هذه الشقة ليسرقكم.

(محمد):

- و هل سيقتنعون بإجابتنا هذه؟

لم يجبه ولكنه بادلهم نظرات طويلة عميقة، تقول أنه نفسه لا يصدقهم.. وكذلك أنا..

* * *

- العشاء يا رجال.

قالها (عوض) وهو يضع لفائف الطعام على المنضدة الصغيرة، وأكمل ما يفعله واتجه نحو باب الشقة ليغادر وهو يقول:

- صحة وعافية.

و لكن (حذيفة) القريب من الباب صفق الباب بقوة ليمنعه من الخروج، وصوت (عمر) يقول:

- و لم العجالة يا (عوض) أفندي؟

(عوض) أفندي؟ أليس هو (عوض) البواب؟ سبحان الله.. (عوض) البواب أصبح (عوض) أفندي.. دنيا..

(عبد الرحمن):

- اليوم عشائك علينا.

وهو ينظر إلى سكين ضخم في يديه بوَله.. بعِشق.. بافتتان.. كأنه لم ير سكينا في حياته.. أو يحسبه.. والعياذ بالله، قال (محمد):

- (عوض) هل تحب الكفتة أم الكباب؟

(فتحي).. (فتحي).. والعياذ بالله.. أين عيناك؟.. لا أرى سوى جمرتين.

و (عمر) أمسك خشبة يبدو أنها ساق كرسي أو أريكة، أما (عاصم) هو أكثرهم هدوءا.. طبعا.. أليس هو الزعيم صفر الذي لا يعرف حقيقته أحد.. أي أنه يمكن أن يكون عميل للمخابرات الأمريكية ولا أحد يعلم.. (عاصم) أمسك بهاتف حديث وهو ينظر إليه بتمعن يقول:

- هل تعلم ما هذا يا (عوض)؟

حين انتبه (عوض) للمشهد أمامه، دب في قلبه الخوف والرعب، وقال بصوت متحشرج:

- ما.. ماذا هناك.. يا أولادي؟

كرر (عاصم) سؤاله في قسوة وشراسة، وأجاب (عوض) البواب ~دنيا غدَّارة~:

- هاتف.. هاتف يا ولدي.

رفع (حذيفة) سبابته أمام وجهه ويقول:

- ولدي؟ ومتى انجبت الأفاعي الأسود.

قال (عاصم) في هدوء أكبر:

- هل تعلم أين وجدنا هذا الهاتف يا (عوض)؟

من يمين عوض اقترب (عمر) بخشبته ومن يساره (محمد) بسكينه ومن أمامه (حذيفة) بأصبعه،ووضع (محمد) السكين على عنق (عوض) المسكين.

تحشرج صوت (عوض) أكثر وهو يقول:

- لا.. لا أعلم.. يا ول.. أستاذ (عاصم).

صرخ (حذيفة) بالقول:

- لا، لا تكذب.

و قال (محمد) بغيظ:

- أني رأيتكما معا.. عينك في عينيه.. في شفتيه.. في قدميه..

لدي احساس أنني سمعت هذه الكلمات من قبل، عموما أشعر أن صداقة عظيمة ستجمع (محمد) و(حذيفة)، (محمد) يميل للبياض والطول والبدانة، و(حذيفة) أسمر ونحيل جدا ويميل للقصر، (حذيفة) يريد أن يقول هذا الذي

يقوله، و(محمد) لديه سعة الصدر ليسمع ما يسمعه، والأضداد تتجاذب.. أليس كذلك؟

قال (عوض) والدمع في عينيه:

- رأيت ماذا يا ولد.. أستاذ؟

أشار (عاصم) لهم بالصمت وقال:

- لقد وجدنا هاتفي مخفيا في سقف خم الوز، من وضعه هناك؟

قال (عوض) والدمع على خديه:

- أقسم بالله لا أعلم.

قال (عمر) وهو يلوح بخشبته:

- لا تعلم! كيف؟ ألم يخبرك (مختار) أن تضعه هناك؟

قال (عوض) والدمع على شفتيه:

- لا والله، كل ما قاله لي أن أشتري وزتين وأضعهم في خم على سطح البناية، وأن اطعمهم ثلاث مرات في اليوم، وفي كل مرة يجب أن أخبركم أنني ذاهب لإطعام الوز ولكن بشكل غير مباشر، والله هذا ما قال لي وهذا ما فعلته.

(عاصم):

- ألم يخبرك غير هذا؟

قال (عوض) والدمع على ذقنه:

- قال أن بعد ثلاثة أيام، أستطيع أخذ الوز لنفسي.

(عبد الرحمن):

- يا سلام، مشاركة في السرقة والوز مكافأة لك، أين (مختار) الآن؟

(عوض) والدمع يتساقط من ذقنه:

- لا أعلم، ولا أعلم لم فعل ما فعل.

أشار (عاصم) لهم أن يتركوه ولكن (محمد) وضع سبابته في وجه (عوض) وقال:

- أياك أن تتصرف في الوز، أنه أداة من أدوات الجريمة التي شاركت فيها، سيتم التحفظ عليه.

قال (عمر) بقوة وصوت جهوري:

- نعم، سيتم فحصه بالمرق والرز.

(عوض) وهو يركض نحو الباب:

- خذوه، لا أريده.

* * *

6- إستعادة

- كان يجب أن نضغط عليه أكثر حتى يعترف بمكان (مختار).
هذه من (حذيفة) وهو يلوح بسبابته في وجوههم، ورد عليه (فتحي):
- لن يفعل، لأن الدكتور (مختار) ليس غبيا كي يخبره بمكانه، لقد أخبره بالجزء الخاص به فقط.
أكد (عمر) قوله وهو يراقب (عاصم) المنهمك في نقل شيء ما من الحائط إلى هاتفه:
- هذا صحيح، الأمر الجيد في كل ما حدث، أنه يدل على أننا في المرحلة الثالثة من مراحل الاختبار.
ما هذا الازعاج، طق.. طق.. طق طق.. طرقات قوية جدا على الباب وتوشك أن تخلعه، فتح (محمد) الباب ليجد السيد (مكرم) على عتبته، والغضب يكسو وجهه ومن ورائه (عوض).
طبعا الأمور واضحة حتى أنني أرغب في تجاوز هذا الجزء، لا!.. حسنا.. الأستاذ (مكرم) كان غاضبا مما تعرض له (عوض)، ورفع السكين دون احترام لسنه أو خدماته، نعم لقد أخبره (عوض) الآن بموضوع الوز، ولكن هذا لا يستوجب الأسلوب العنيف الذي تعرض له (عوض)، لا يريد أن يسمع شيئا عن ذلك الملعون المسمى الدكتور (مختار)، كل المصائب والمشاكل بدأت مع وجهه النحس، والآن هل أبلغتم الشرطة ؟
(عاصم):

- سنؤجل إبلاغ الشرطة إلى بعد عصر غد.

ضاقت عينا (مكرم) في شك لو تعلمون عظيم وقال:

- لماذا؟

(عاصم):

- هناك احتمال أن نستعيد أشيائنا غدا.

و وجهه على حاله، سأل:

- كيف؟

(عاصم):

- سنخبرك حين نستعيدها يا أستاذ (مكرم)، لسنا متأكدين أن أغراضنا موجودة في ذلك المكان أم لا.

قال السيد (مكرم) وهو يشير إلى (عوض) إشارة ذات مغزى:

- والآن.

اندفعوا نحو (عوض) يقبلون رأسه ويعتذرون له، وهو يتقبل اعتذارهم بروح طيبة، قبل أن ينصرف مع السيد (مكرم) الذي حرص أن يقول قبل ذهابه:

- غدا وقت العصر، الجوازات أو تقرير الشرطة، مفهوم؟

ارتفعت الأصوات بتأكيد الفهم المطلق، وأغلقوا الباب.

هنا التفتوا إلى (عاصم)، وقال (عمر):

- كيف سنستعيد أغراضنا غدا؟

قال (عاصم) وهو يتصل برقم ما من هاتفه:

- هكذا.

مضت لحظات حتى أجاب الطرف الآخر، وبعد التحية قال (عاصم):

- الدكتور (مختار).. هل ترك عندكم أمانة؟

- من الدكتور (مختار)! آسف يبدو أنني أخطأت الرقم.

أغلق الاتصال وتوجه نحو نحو حائط في البهو وأخذ ينقل منه من جديد، اقتربوا منه ليجدوا بخط باهت مكتوب رقم هاتف، ولكن الرقم الثالث من اليمين مكتوب 6 وفوقه 8 وتحته 9، سأل (حذيفة):

- من أين هذا الرقم؟

أشار له (عاصم) بالصمت وهو يتصل من جديد وينتظر رد الطرف الآخر، وبعد التحية، كرر سؤاله السابق.

- ترك عندكم حقائب وأشياء أمانة لناس!

-..

- من أنا؟.. (عاصم همام)، هل ترك شيئـ..

-..

- و هل ترك شيئا لـ..

و أخذ يذكر أسمائهم الواحد تلو الآخر، ومع كل اسم ينظر لصاحبه ويرفع علامة التمام، ~نعم مثل علامة الإعجاب في(فيسبوك)، يا سلام عليك يا (فيسبوكي) ~ واختتم حديثه بالسؤال عن العنوان، وأشار لهم بتدوينه، وهو يكرره بصوت عال.

انهى حديثه على الهاتف وسط ارتياحهم البالغ، ونظر للعنوان المكتوب على الحائط بالسكين، وسأل:

- (محمد).. هل هذا العنوان قريب؟

قال (محمد) والجهل على وجهه لا يستطيع أن يداري نفسه:

- لا أعلم، لست من سكان (القاهرة)، ولكن يبدو أنه عنوان نُزل.

رفع (حذيفة) سبابته وهو يقول:

- عبقري.. العنوان يقول أنه "نُزل السعد"، أنت شمس ونعيم يكفينا.. وسواك خيره جحيم وسعير.

يا سلام.. يا.. سلام.. عبقري لأنه كرر ما في العنوان، أنا أكرر ولا يمدحني أحد، بل يذمونني، أقول "الشمس شمس" فلا اسمع صيحات الانبهار وصرخات الدهشة، لا أرى الرجال يتطاوحون كالسكارى من كلماتي، لا أرى النساء يفقدن وعيهن، خذ هذه "القمر قمر.. والسحاب سحاب.. الماء ماء.. والدواب دواب".. هه.. لا أسمع شيئا.. حتى تنهيدة "يا عيني" لا أسمعها، حقا أنه زمن الإنترنت فعلا.. ماذا يحدث؟.. ماذا يحدث في هذه الدنيا؟

نظر (عاصم) إلى (حذيفة) بعينين لا تبصران وقال:

- سنذهب غدا صباحا للعنوان كي نحضر أشيائنا.

(عمر):

- من أين جئت برقم الهاتف؟

(عاصم) وهو يخرج الورقة من جيب منامته:

- من الورقة.

انتزع (عبد الرحمن) الورقة من يده وأمسكها بكلتي يديه ينظر إليها، والتف حوله الباقون باستثناء (عاصم).

(عمر):

- لا نرى شيئا.

أخذ كل منهم يمرر الورقة للآخر و(عاصم) يراقبهم بصمت.

(فتحي) وهو يدقق في الورقة بين يديه:

- أين؟ هل هو مكتوب بالحبر السري؟

(عاصم):

- تحت كلمة "وززززز".

هنا أمسك (محمد) بالورقة ورفعها لتكون أسفل ضوء مصباح السقف، وهنا هتف (عبد الرحمن):

- هذا هو..

(عمر):

- لكن لا يمكن قراءته..

(فتحي):

- في النهار سيبدو واضحا.

(عبد الرحمن) وهويقترب من الحائط المكتوب عليه رقم الهاتف:

- و ما سر الأرقام حول العدد 6؟

قال (عاصم) وهو يفتح لفائف الطعام:

- الرقم الثالث غير واضح، هل هو 6 أم 8 أم 9.

(حذيفة) وهو يضع الأطباق التي احضرها من المطبخ ~طبعا لابد من رفع السبابة ~:

- زرقاء اليمامة.

كرر (عاصم):

- زرقاء اليمامة!

أكد (حذيفة):

- زرقاء اليمامة.

(محمد):

- زرقاء اليمامة؟

(حذيفة):

- زرقاء اليمامة.

(عمر):

- من زرقاء اليمامة هذه؟

أوشك (حذيفة) أن يقلع عين (عاصم) بسبابته وهو يقول:

- هذا.. هذا زرقاء اليمامة.

ضحك (فتحي) وهو يفرغ لفافة في طبق:

- و لكنه ابصر الرقم من بضعة أشبار وليس من مسيرة أيام.

(حذيفة) وهو يوزع أرغفة الخبز على الطاولة، طبعا توقف عن عمله لأنه يحتاج سبابته في الحديث، فرفع سبابته:

- عين صقر.. يراه، لا نراه.. بعده من يراه.

(عمر):

- بعده من يراه؟

(حذيفة) والسبابة يؤكدان:

- بعده من يراه!

(محمد) وهو يسكب الماء في أقداح على المائدة فيجعلها كؤوسا:

- و لكن كيف رأيت الرقم يا (عاصم)؟

(فتحي):

- هذا الأمر غريب حقا، كيف رأيته؟

(عاصم):

- لم أصدق أن الدكتور (مختار) يخدعنا، كنت مؤمنا أن ما فعله ليس لسرقتنا وإلا سيكون أكبر أحمق، كل هذا المجهود والمال لأجل سرقة قروشنا القليلة وأشيائنا الرخيصة!.. غير ممكن.. أنها ولاشك المرحلة الثالثة التي حدثنا عنها وضرورة الانتباه والتركيز واللياقة البدنية العالية، الحادثة أصابتكم بالارتباك وأضاعت ثقتكم بالدكتور (مختار)، في حين أخذت أتأمل الرسالة مرارا وتكرارا حتى انتبهت إلى الرقم.

أشار لهم (فتحي) بالقعود، وقعدوا جميعا وأعطى (عبد الرحمن) إشارة البدء بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، وتعالت أصواتهم بها، وأنقضوا على الطعام.

(عمر) وهو يمضغ:

- الطعام وحده يكفر عن الدكتور (مختار) ما فعله، فلم يتركنا للجوع.

(حذيفة):

- لا تنس الوز.

(عاصم):

- الوز سيعود إلى (عوض).

(محمد) وهو يمد يده لكأس الماء:

- الحقيقة أنك كنت أفضلنا يا (عاصم) في هذا الأمر، ربما لأننا في داخلنا نشعر بالشك في هذه الرحلة.

(عاصم) وقد أوقفت الدهشة يده عن وضع اللقمة في فيه:

- تشك في الرحلة؟

(عمر):

- بالتأكيد.. ما الداعي لها؟ في زمن صواريخ الفضاء والطائرات والأقمار الاصطناعية، لقد أصبحت الأرض كقرية صغيرة، ليس فيها غوامض أو مجاهيل، والكل يُجمع على كرويتها.

(عاصم):

- ليس الجميع، ثم ألا يدهشك التعارض بين النظرية والتطبيق؟

(محمد):

- أي تعارض هذا الذي تتحدث عنه؟

(عمر):

- ينظرون إلى الأرض على أنها كرة وجميع تطبيقاتهم في الحياة من طائرات وصواريخ وأقمار اصطناعية وعمليات البث الكهرومغناطيسي تفترض أن الأرض مسطحة.

(عبد الرحمن):

- و لماذا يكذبون؟

(فتحي) والدهشة توقف يده عن الوصول للطعام:

- الم تشاهد اعترافاتهم حول كذبة الهبوط على القمر، وانها مفبركة، الم تشاهد اعترافاتهم حول كذبة تشريح مخلوق فضائي؟ الم يلفت انتباهك الأماكن والجزر التي اختفت من خرائط جوجل في عالمنا المعروف؟ الم تشاهد الخرائط القديمة التي تتحدث عن أماكن كثيرة تحيط بعالمنا الذي نراه في الخرائط المزورة؟ الا تعرف أن جميع الخرائط المرسومة مزورة؟ كيف تبدو روسيا أكبر من إفريقيا في حين مساحة إفريقيا ضعف مساحة روسيا، كيف كندا ضعف مساحة البرازيل، رغم أنهما متساويتان في المساحة تقريبا، عالمنا تم تزويره بالكامل، وعلينا أن نبحث عن الحقيقة.

(عبد الرحمن):

- سمعت هذا كله، وجميعها لها تفسير ما.

والتفت إلى (عاصم) وسأل:

- أنت تؤمن بأن الأرض مسطحة؟ هذا يعني أن لها حدود يجب أن نصل إليها، ثم ماذا بعد؟ ماذا لو كانت حقا كروية وعدنا لنقطة البداية؟

(عاصم):

- إن كانت مسطحة - وهذا ما أؤمن فيه- فسنصل إلى حدود بعيدة جدا عن الحدود المرسومة في الخرائط، بل بعدها بكثير، حدود من صنع الله ولن نستطيع نحن أو آخرون من خلقه تجاوزها، وإن كانت كروية، فهي حتما أكبر من الحجم المحدد حاليا بكثير، ربما عشرة أضعاف حجمها المعروف حاليا.

(عمر):

- كروية ولكن أكبر من الحجم المعروف حاليا بعشرة أضعاف؟ الحقيقة أن هذا احتمال جديد، ولم أفكر فيه من قبل.

(محمد):

- هذا يعني أن عالمنا المعروف جزء صغير من سطح كرة كبير جدا، تحيط به أراض كثيرة وواسعة ولكن بعيدة جدا، هذا أمر يسهل تقبله.

(عبد الرحمن):

- هذه ستكون رحلة مذهلة أن تحقق أحد الإحتمالين.

(فتحي) وهو ينهض:

- السؤال هنا، هل سيسمحون لنا بالقيام بهذه الرحلة؟

(محمد) وهو يتأكد من عدم وجود فراغ في معدته لأجل المزيد من الطعام:

- هذا هو السؤال، هل سيسمحون لنا؟

(حذيفة) وهو يلقي بلقمة كبيرة في فيه ~مشكلة النحفاء أنهم يأكلون كالأفيال ولا يظهر عليهم، في حين نأكل لقمة واحدة زائدة، فتتدلى الكرش فورا~:

- تعني هؤلاء الذين يزورون كل شيء، ليس من مصلحتهم أن تظهر الحقيقة وينكشف كذبهم للعامة.

(محمد):

- أتعرفهم؟

(عاصم):

- سنعرفهم أثناء الرحلة.

(عبد الرحمن):

- كيف؟

(فتحي) وهو عائد من الحمام ويجفف يديه بالمنشفة:

- سيحاولون جهدهم لمنعنا من القيام بالرحلة.

(حذيفة):

- هذا يعني أنه ستواجهنا مشاكل وعوائق كثيرة.

مسكين.. أنه لا يعلم أنه في البداية.. بل بداية البداية.. من رحلة في عوالم الخطر والأهوال.. لكن دعنا لا نخبره بذلك.. هو أيضا؟.. هو أيضا..

*** * ***

- (عاصم) ؟

قالها (حذيفة) أقرب إلى الهمس في ظلام الحجرة وهو مضطجع في فراشه، فرد عليه (عاصم) المضطجع في سريره بدوره:

- أمممممم.

(حذيفة):

- هل أنت نائم؟

نائم ويرد عليك "أمممم".. غريبة، ولكن (عاصم) لم يتوقف عندها وقال:

- لا.

تدحرج (حذيفة) على جانبه الأيمن لينظر إلى (عاصم) رغم الظلام وقال:

- هل تعلم ماذا يعني اكتشافنا أن الأرض مسطحة أو كروية لكن أكبر بعشر مرات؟

(عاصم):

- ماذا يعني؟

زفر (حذيفة) وهو قال بقنوط:

- يعني أن سنغيب عن ديارنا سنينا طويلة.. طويلة جدا..

قال (عاصم) وهو يجذب الغطاء على وجهه، ليخفي ما يخفيه وقال بصوت يأتي من بعيد.. بعيد جدا:

- أعلم هذا.

و ساد الصمت بينهم، صمت يكتب بمداد الحزن رسالة وداع.. للأهل والديار والأوطان.

غريبة.. كنت أظنهم لا يعلمون.. يبدو أنهم يعلمون ولا أعلم أنهم يعلمون.. خبثاء.. أخفوا عني ما يخفونه.. كنت احسبهم جمعا سليم الطوية..

* * *

7- الدكتور (مختار)

السروال أوشك أن يبتلع (حذيفة)، الذي بدا كأنه يرتدي برميلا، أما (محمد) فقد ضاق به سرواله وأظهر منحنيات ساقه وفخده وأشياء أخرى نحذفها لأجل الرقابة، كان سرواله من الضيق أشبه بالذي ترتديه بعض النساء في زماننا هذا، فيشمئز منهن الكرام ويستطيبهن اللئام، أما (عاصم) و(عبد الرحمن) و(عمر) و(فتحي)، فقد كانت ثيابهم التي حصلوا عليها من السيد (مكرم) مناسبة إلى حد ما.

- لن أذهب هكذا.

قالها (محمد) بضيق وهو لا يكاد يتنفس من ضيق ملابسه، ووافقه (حذيفة):

- و أنا كذلك، متى صرت سروالا؟

قتل (عاصم) ابتسامة أوشكت أن تفلت من جانب فيه وقال:

- (محمد) يجب أن يذهب معنا، هو ابن البلد ويستطيع أن يتفاهم مع أهلها بسهولة.

(عبد الرحمن):

- أنت تعطيني شعورا أننا نمشي في بلد غريب، أنها (مصر) ونتكلم العربية مثلهم، ومشهور عن أهلها الطيبة.

(عمر):

- هناك أشياء يعرفها ابن البلد أكثر من غيره.

(محمد) وهو يسير ببطء شديد حتى لا تتمزق ملابسه نحو باب الشقة:
- انتظروني خمس دقائق.
(حذيفة):
- أين تذهب ؟ حالي لا يختلف عن حالك.
(محمد):
- خمسة فقط.
غادر الشقة وانهمك الباقون في التندر على ثيابهم والحديث عن وجهتهم حتى انقضت عشر دقائق، ليدخل (محمد) وهو يرتدي جلبابا واسعا جعله مع ميله للبدانة أشبه بعمدة إحدى القرى، وعلى ساعده ثياب ألقى بها إلى (حذيفة) وهو يقول:
- جَرِّب هذه.
حسنا، الأمور الآن أفضل، صحيح أن سروال (حذيفة) قصير بعض الشيء مما أعطاه مظهرا هزليا، ولكنه لم يعد أشبه بارتداء برميل، قذف (عاصم) الهاتف النقال القديم الذي أعطاه لهم السيد (مكرم) إلى (محمد)، وهو يقول:
- هذا سيبقى معك، اتصل بي الآن لاحفظ رقمه.
أملى (عاصم) رقم هاتفه على (محمد)، الذي أجرى الاتصال فور انتهاء الإملاء، وحين رن هاتف (عاصم)، قال:
- لنبق على تواصل إن حدث شيء وتفرقنا.

استقلوا سيارة أجرة للعنوان المطلوب، وكانت الشوارع مزدحمة رغم إنها لم تبلغ الذروة بعد في (القاهرة).

العنوان المطلوب كان في حي هادئ وهندسته راقية، والنُزل نفسه لا يناسب عامة الناس، بل فئة السياح فقط، واستقبلتهم من وراء مكتب صغير في غرفة الاستقبال الصغيرة، سيدة مثقفة ترتدي حجابا ونظارة طبية، يبدو أنها تجاوزت الستين عاما، نعم يبدو.. لم أر بطاقتها الشخصية، أخبرها (محمد) عن سبب قدومهم، فأخرجت ورقة من أحد أدراج المكتب، وأخذت تنادي أسماءهم الواحد تلو الآخر، وتسأل كل منهم عن تاريخ ميلاده ومكان ميلاده حتى انتهت منهم جميعا، وأخرجت حزمة من جارور في المكتب، كانت رؤيتها كالبلسم، فقد كانت جوازات سفرهم، انقضوا عليها وكل منهم يأخذ جواز سفره.

نادت السيدة شخصا يبدو أنه يعمل عندها:

- (مرسي).. يا (مرسي).. هات أغراض جمعية الأرض المسطحة.

و أشارت لهم السيدة بالجلوس، وجلسوا والسعادة سابعهم، ويقلبون جوازاتهم بفرح وسرور حتى جاء (مرسي) يحمل ثلاثة أكياس كبيرة ويقول:

- بقي ثلاثة أكياس.

انقضوا على الأكياس، وكل كيس يحتوي أغراض واحد منهم كاملة، حتى نقودهم لم تنقص شيئا، وعاد (مرسي) حاملا الباقيات.

انتهوا من فحص أشيائهم وأخذوا يلقون بالشكر على السيدة، التي نظرت لهم من فوق نظارتها وقالت:

- أشياؤكم كاملة؟

(عمر) والفرحة تحمله على جناحها كعريس في ليلته وقال:

- كاملة، ألف شكر.

امتدت يد السيدة إليهم ببطاقات وهي تقول:

- هذه بطاقات النُزل، احتفظوا بها جيدا، إذا احتجتم شيء يمكنكم الاتصال بنا.

أخذ (عبد الرحمن) البطاقات منها وشرع يوزعها عليهم، ويزيد الشكر شكرا.

قالت السيدة وهي تخط شيئا على ورقة:

- قبل أن أنسى هذا عنوان جمعية الأرض المسطحة، الدكتور (مختار) أوصى بضرورة ذهابكم إليها.

(عاصم) وهو يتناول الورقة منها:

- هل من طريقة للاتصال بالدكتور (مختار) أو معرفة عنوانه؟

السيدة وهي مشغولة في دفتر حسابات أمامها ~دفتر حسابات النُزل يا أخي~:

- لا، كل هذه أمانات تم دفع ثمن خدمتها، لو لم تأتوا خلال يومين، كنا سنرسلها لكم مع رسالة الدكتور (مختار).

بدءوا في الانصراف ولكن (فتحي) التفت للسيدة وقال:

- ما الرسالة التي من المفترض أن تبلغيها لنا؟

السيدة وهي منهمكة في دفترها~نعم دفتر الحسابات.. كلا لم تغيره~:

- لم تعد لها أهمية بحضوركم.

(فتحي) ولكن بإصرار:

- و لكن ما هي؟

رفعت رأسها إليه ~نعم عن دفتر الحسابات~ وقالت:

- تمتعوا بالإقامة في مصر وعودوا لبلادكم، أما الآن الرسالة هي..

و رفعت يديها بعلامة النصر.

توقف (حذيفة) عن التحرك وشخص ببصره، يا إلهي يبدو أنه سيقول شيئا مما يقوله دائما، بالله عليك يا (حذيفة) لا تقل شيئا، قريحتي لا تجود بكلمة الآن.

......

......

بارك الله فيك، هذا هو الشعر وإلا فلا، موزون ومقفى وكامل الصفات والخصائص، هذا هو الشعر.. هذا هو الشعر..

*** * ***

وهم وقوف أمام النُزل ومعهم السعادة وحقائبهم وأشيائهم، قال (عمر):

- و الآن إلى أين؟

(عاصم) وهو يشير إلى سيارة أجرة:

- إلى جمعية الأرض المسطحة.

توقفت سيارة أجرة ونظر سائقها بجشع إليهم وإلى حقائبهم، ولكن (محمد) اقتحمهم بجلابيته إلى السائق وهو يأخذ الورقة من يد (عاصم)، هو يقول باللهجة المصرية القاهرية:

- نريد هذا العنوان يا (أسطى).

اللهجة المصرية القاهرية كانت أشبه بكوب ماء بارد في وجه السائق، وغاضت ابتسامته، وهو ينظر إلى (محمد) ثم إلى الورقة ونطق جملة واحدة هي أجرة الذهاب إلى العنوان.

(محمد):

- كثير يا (أسطى)، النصف كفاية.

السائق وهو يعد السيارة للتحرك وقد اكتفى بخيبة الأمل:

- النصف أجرة السيارة التي بعدي، سلام يا (جدع).

وانطلق، لكن السيارة التي جاءت بعده كانت أفضل في كل شيء، كانت حافلة صغيرة، سائقها رجل مسن بشوش وطلب أجرة تقارب ثلثي ما طلبه الأول.

*   *   *

وصلت الحافلة إلى العنوان المطلوب، والعنوان بيت من طابقين حوله حديقة صغيرة، وسور وبوابة حديدية بجوارها لافتة صغيرة، تحمل جملة "جمعية الأرض المسطحة".

(عاصم):

- هل يمكن أن تنتظرنا خمس دقائق، نحتاج الذهاب إلى مكان آخر.

السائق:

- بعيد؟ ما العنوان؟

أخبره (محمد) العنوان، وافق بعد أن أكد أنه سينتظر خمس دقائق فقط.

دخلوا من الباب المفتوح في البوابة الحديدية إلى الحديقة، ليجدوا أمام البيت منضدة صغيرة حولها شابين ورجل تجاوز الخمسين من عمره، بعد التحية والدعوة للجلوس من قبل الجالسين ورفضها بأدب من قبل الوافدين، سأل (عاصم) عما إذا كان الدكتور (مختار) ترك شيئا لهم.

الرجل وهو ينظر إليهم مفكرا ومتأملا:

- الدكتور (مختار).. الدكتور (مختار).. صحيح ترك رسالة إلى مجموعة شبان.

و التفت لأحد الشابين الجالسين معه وهو مستمر في حديثه:

- (حامد)، الدرج الثاني من اليمين في مكتبي، ظرف أبيض مكتوب عليه الدكتور (مختار).

و التفت إليهم وهو يواصل:

- نسيت أمر هذا ظرف تماما، رغم أن الدكتور (مختار) أخبرني عنه بالأمس وقال أنكم ستحضرون لأخذه خلال أسبوع.

(عمر):

- هل تعرف كيف نصل إلى الدكتور (مختار) ؟ عنوانه؟ رقم هاتفه؟

الرجل:

- لا، الدكتور (مختار) نادرا ما نقابله، والاتصال به يتم من خلال موقع الجمعية على شبكة الإنترنت.

جاء الشاب بالظرف وانقض عليه (عاصم) ليأخذه منه، في حركة - ربما- بدت فظة قليلا، وفتح الظرف.

الظرف فيه ورقة بيضاء صغيرة مكتوب فيها:

"صار لديكم صورة واضحة عن الأمر، سنلتقي في المكان المحدد، لا تتأخروا عن الموعد، العاشرة والنصف من يوم الأربعاء القادم، إذا تأخرتم...

وززززززز..

مختاركم للخدمات السريعة "

* * *

- أنا أشك في الـ "وززززززز".

قالها (حذيفة) وهم جلوس يرتشفون الشاي في الشقة بعد تناولهم العشاء.

(فتحي) ونظرته استنكار لطيف:

- مرة أخرى؟

(حذيفة) والسبابة:

- لم اخطئ في المرة الأولى، وماذا يمنع في المرة الثانية؟

(عاصم) والخطاب في يديه يفحصه ويفحصه ويفحصه:

- لا أظن أن الدكتور (مختار) سيكرر المرة الأولى.

(عبد الرحمن) وهو يبصر البعيد لأن القريب لا يكفيه:

- لابد من التجديد، ولكنني واثق أن الحل في نص الرسالة.

(فتحي) وهو يتأكد أن الشاي في كأسه يطيع الملعقة:

- يقول "صار لديكم صورة واضحة عن الأمر"، هل الصيغة تعبر عن صورة حقيقية أم مجازية؟

(محمد) وهو يرتشف الشاي في رشفة طويلة كأنه يخشى أن يفر منه:

- لو كانت حقيقية! فما هي الصورة التي حصلنا عليها؟

(عمر) وقهوته تعطر الجو:

- حين سألنا رجل جمعية الأرض المسطحة إن كان الدكتور (مختار) ترك أو قال شيئا آخر، نفى ذلك تماما وقال إن ما تركه الدكتور (مختار) هو الظرف فقط.

(عاصم) وهو يوشك أن يحرق الرسالة ببصره:

- لنفرض أننا حصلنا على شيء، فما هو؟

(عمر) وهو يرفع كفه كأنه في مسابقة الكنز:

- حقائبنا وأغراضنا.

بسرعة وضعوا كؤوسهم على المنضدة، واندفعوا لأغراضهم، طبعا رجعوا بعد نصف ساعة والإحباط سابعهم، وكؤوسهم وما حوت صارت باردة.

(محمد) وهو يؤكد الإحباط بإحباطه:

- لم اترك شيئا من حاجاتي إلا فحصته جيدا، فلم أجد تغييرا ولم أعثر على جديد.

حجبت كلمات الباقين بعضها وهي تؤكد كلامه، ثم ساد الصمت، وساد وساد.. كلا لم يحطمه أحد بعد.

(عبد الرحمن) وقد شعر أن من واجبه تحطيم الصمت:

- هل حصلنا على شيء آخر؟ لا أظن، ربما كان المقصود صورة مجازية؟

(عمر):

- ولكن ما هو؟

(حذيفة) وهو يقف رافعا سبابته بانتصار:

- علامة النصر.. علامة النصر التي رفعتها السيدة.

(فتحي) و(عاصم) و(محمد) يقفون معا حتى لا يفوتهم سباق الوقوف وبصوت واحد:

- البطاقات!

و كما في المرة السابقة ~ وعسى ألا تكون مثلها ~ اندفعوا إلى حجراتهم وعادوا وكل منهم يحمل بطاقة في يده، نعم يا أخي.. البطاقات التي أعطتها السيدة لهم.

و ضعوا البطاقات على المنضدة بعد رفع الكؤوس الباردة, حسنا.. لا داعي للضجة، لقد وُضعت البطاقات بجوار بعضها، وليس فيهن واحدة بها ما تنفرد به عن الأخريات، كل واحدة تنسخ الأخرى نسخا.

(عبد الرحمن) والقنوط يشد شدقيه نحو الأرض:

- لننظر الجهة الأخرى.

يا سلام على الجهة الأخرى، كانت مختلفة.. تماما، لقد كان الوجه الآخر صورة، لا.. لا.. لا لا.. لقد كانت صور مختلفة يجمعها شيء واحد، هو؟..

هو موضوعها، لقد كانت صور لمشهد ما، أو أجزاء منه.

(عمر) وهو يمد يده ببطاقته ليضعها أمام وجه (محمد):

- ما هذا المكان؟

(محمد) وهو يدفع يد (عمر) أمامه كي يبعد البطاقة عن وجهه، كي يراها بوضوح:

- أممممممم.. لا أعلم.

إجابة عبقرية تنم عن إطلاع واسع على ثقافات العالم، وهل توجد ثقافة ليس فيها "لا أعلم"، عبقري هذا الـ (محمد)، ويبدو أن الدهون الزائدة في جسده تعطيه طاقة إبداعية.

أما الزعيم رقم صفر، الذي لا يعلم حقيقته أحد، فقد أمسك بهاتفه والتقط به صورة لبطاقته، فقط كي يرغم (فتحي) أن يسأله:

- ماذا تفعل؟

أجاب بكلمتين - أليس زعيما -:

- بحث بالصورة.

ما أن أتم جملته حتى أمسك كل منهم بهاتفه والتقط صورة لبطاقته، بحث بالصورة تسمح بالبحث عن معلومات ما تملك صورته، طبعا غالبا ما يظهر البحث أشياء مشابهة، وعليك أن تحدد أنت الهدف من تلك الأشياء المشابهة.

طبعا أظهر لهم البحث كل شيء، الغث والسمين، حتى ما تشابه لونه أو هيئته مع صورة البحث.

(حذيفة) مع سبابته:

- خبيث.

(محمد) يكرر ويستفهم:

- خبيث؟

(حذيفة) وسبابته يؤكدان:

- و ماكر.

(عمر):

- وماكر؟

(فتحي):

- داهية!

(عبد الرحمن):

- من هو؟

(فتحي):

- من يتكلم عنه (حذيفة).

(عاصم):

- و هو؟

(حذيفة):

- الدكتور (مختار).

(عاصم):

- وهل تظن انه سيجعل لك ~تررررن~ الأمور وا~تررررن~ضحة؟

أمسك (عاصم) هاتفه ورفعه إلى أذنه بعد قبول الاتصال، ليسمع ضحكة عالية.. عالية جدا.. ضحكة استطاع معرفة صاحبها، فانزل الهاتف وضغط زر المجهار ليصبح بمقدور الجميع سماع المحادثة، الضحكة العالية والتي هي أقرب للقهقهة جعلتهم يتقاربون أكثر ويتلاصقون لـ (عاصم)، قبل أن يسمعوا صوتا مألوفا يلي الضحكة يقول:

- كيف حالكم يا (حلوين)؟

* * *

8- الحل والطريق

بالطبع المزيد والمزيد من القهقهة، قهقهة استفزت (عمر) وجعلته يقول:

- لقد عرفنا المكان يا دكتور (مختار).

واصل الضحك ~يبدو أنه يستمتع بوقته~ ثم قال وضحكته ترج كلماته رجا:

- يجب أن تعرفوا المكان، إذا لم تأتوا في الموعد فإنني (وززززززز)، وسأترككم خلفي.

(حذيفة) وهاتف الذي يقوله في عينيه:

- أنت وظلي على العهد سواء..

أن خان ظلي فأنت منه براء..

صرت للغدر أبا وأكثرت الابناء..

و أن الغيظ خليلي فنعم الأخلاء..

قال الدكتور (مختار) والدهشة تخنق ضحكته:

- من هذا؟

عاد هاتف ما يقوله (حذيفة) يتألق من جديد في عينيه لولا أن قاطعه (عاصم) بإشارة من يده وقال:

- سنكون هناك في الوقت المحدد يا الدكتور (مختار).

تعالت ضحكات الدكتور (مختار) من جديد وقال:

- لقد جعلت الحل سهلا جدا، لأني لا أرغب في الرحيل من دونكم، وكنت أقودكم إلى الحل كما قاد كليم الله قومه للخروج من مصر.

(عبد الرحمن):

- لماذا تريدنا منذ البداية إن كنت ستتركنا في النهاية؟

يبدو أن المرح ذهب من الدكتور (مختار) وحل محله الجد وهو يقول:

- لأنني أريد الشباب الذكي النشيط.. أريد الطبيب ومهندس السفن والميكانيكي ومبرمج الحاسوب والصيدلي المثقف، أنها رحلة طويلة واحتاجهم جميعا أعوانا لي وليس عالة علي.

(حذيفة) مدهوشا من كلامه ومنزعجا منه:

- و من أين نأتي لك بطبيب ومهندس السفن؟

قال (محمد) بكبرياء كأنه أُهين ولا ألومه:

- أنا مهندس سفن.

(فتحي):

- وأنا طبيب عام.

(عمر):

- و أنا طبيب جراحة.

(عاصم):

- و أنا مبرمج حواسيب.

(عبد الرحمن):

- و أنا الصيدلي المثقف.

هنا قال (حذيفة) بقنوط:

- و أنا الميكانيكي.

نظروا إليه بدهشة وتشاركهم ضحكات الدكتور (مختار) من الهاتف، والأخير يقول وضحكاته تعجن كلماته:

- أنتم معا ولا تعرفون ما يفعله كل منكم، أنكم فريق رائع، الآن أخشى أنني سأرحل من دونكم.

تنبه (حذيفة) لنظرات رفاقه المدهوشة،فقال في خجل:

- نعم، أنا ميكانيكي.

سأله ((فتحي) والدهشة تلقي السؤال عنه:

- ميكانيكي وتقول الشعر.

(حذيفة) يحك رأسه والدهشة عنه تقول:

- شعر! ومتى قلت شعرا؟

(محمد):

- هذا الذي تقوله طوال الوقت، أليس شعرا؟

(حذيفة) وقد أصاب الجرب رأسه:

- هل ما أقوله يعتبر شعرا؟

و من جديد ضحكات الدكتور (مختار) تتعالى من الهاتف ويقول:

- أراكم قريبا، لا تتأخروا وإلا.. وززززز.

و أغلق الاتصال ولو طلبتم رأيي - وأنتم في غنى عنه- لقلت أن ألغازه ساذجة وأنه يرغب فعلا في اصطحابهم معه، ولكن ثخانة مخاخهم ربما تجعل رغبته صعبة التحقيق.

(عبد الرحمن) والذكاء يتطاير من عينيه:

- جينات.

(فتحي) ونظرته تقتل الذكاء المتطاير:

- جينات؟

(عبد الرحمن) وسبابته ~نعم سبابته وماذا أفعل لك؟، يبدو أن السبابة قرينة كلامهم~ تشير إلى (حذيفة):

- موريتانيا.. بلد المليون شاعر.

خرجت آهة الفهم الطويلة من الباقين باستثناء (حذيفة)، وجذب (محمد) رأس (حذيفة) وقبله وهو يقول:

- الحمد لله، ألف حمد لله، كنت أحسبه مزمن أو معدي، لكن الحمد لله، الموضوع جينات فقط، ألف حمد لله على السلامة.

(حذيفة) والضيق في كل شيء منه:

- الخل مرآة خليله..

وأن مرآتي كسيرة..

أرى فيها نفسي..

و ألف نفس أراها..

بالله أي منها أنا..

أنّ مرآتي شظايا..

تعالت أصواتهم بالمدح والاستحسان.

- هذا هو..

- يا عيني..

- يسلم لسانك..

- شاعر في زمن بلا شعراء..

- فحل.. فحل من فحول الشعر يا أخوة.

(حذيفة) وهو يحك صدغه بقوة ~يبدو أن جربا أصابه أيضا ~:

- هذا شعر؟

(محمد) وهو يؤكد بقلبه ولسانه ويده:

- و من عيون الشعر.. يا سلام.. هذا هو الشعر.. هذا هو الشعر.

مال (عبد الرحمن) على أذن (فتحي) وسأل:

- ماذا قال في شعره؟

مال (عمر) على أذن (عبد الرحمن) وقال:

- تكلم عن المرايا وأن مرآته مكسورة، يبدو أنه يريد منا أن نجلب له أخرى سليمة.

(عبد الرحمن) وهو يبتعد عن (فتحي) ويعتدل ناظرا إلى (حذيفة):

- أملك مرآة لا احتاجها، سأعطيها لك.

(عاصم) وهو يشارك (فتحي) الابتسام:

- فيما بعد، لنرجع إلى أمر الصورة.

(فتحي) والضيق ينهش صدره:

- لم نعثر لواحدة منها على شبيه ذي معنى في الإنترنت.

(عمر):

- كنت أقودكم إلى الحل كما قاد كليم الله قومه للخروج من مصر.

(عبد الرحمن):

- هل يقصد بها الدكتور (مختار) شيئا؟

(عاصم):

- أنه لا يقول هراءً، أو كلمات بلا معنى، لعل قصد بها شيئا.

(محمد):

- لقد علم أننا استعدنا أشياءنا، وبالتالي حصلنا على البطاقات والرسالة، وأننا نبحث عن مكان اللقاء.

(حذيفة) وسبابته أمام وجهه:

- لو فرضنا حسن النية فيه، فكيف ستساعدنا جملته في الحل؟

(عاصم):

- جملته تبدو ضمن سياق الكلام، ولكن مثل (عمر) أشعر أنه أراد بها شيئا ما.

(فتحي):

- (موسى) عليه السلام هو كليم الله، وهو من قاد بني إسرائيل للخروج من (مصر)، والدكتور (مختار) يساعدنا في الخروج من (مصر)، فهل هناك علاقة ما بين الأمرين؟

(محمد) والمنضدة تضرب يده:

- هل يحسبنا كبني إسرائيل؟ هذه إهانة.

(فتحي) نافيا ما يُنفى:

- لا، أنه يقصد الفعل وليس من قام به، ما العلاقة بين الصور والخروج من (مصر)؟ هذا هو السؤال.

(حذيفة) وهو يتأكد من جودة خشب المنضدة ~هذا ما استنتجه من طريقة طرقه عليها ~:

- ربما يقصد الفعل ومن قام به معا.

(عاصم):

- ست صور وجملة، كيف يقودنا هذا إلى مكان اللقاء؟

(عمر):

- إلى أين أخذ موسى قومه؟ إلى فلسطين.. ربما تكون هذه الصور خاصة بمكان ما في فلسطين!

(عاصم) وهو ينفي برأسه وسبابته:

- لا، موسى عليه السلام لم يدخل فلسطين لأن قومه رفضوا دخولها لوجود قوم جبارين رغم وعد الله لهم بالنصر، فقضى الله عليهم التيه في سيناء أربعين سنة.

(عبد الرحمن):

- ربما تكون صورة مكان في سيناء؟

(محمد) في غبطة وسرور وبصوت عال:

- جبل (موسى) عليه السلام، الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى نبيه (موسى) عليه السلام عنده، أنه مزار سياحي شهير.

(عمر):

- و ما علاقة جبل (موسى) عليه السلام بالصور؟

أزاح (فتحي) البطاقات جهته ونظر إليها وأخذ يستبدل موضع بطاقة بأخرى وهو يقول:

- الصور تبدو كمشاهد طبيعية، ربما لنفس المكان..

وضع كلتي يديه على البطاقات وأزاحها إلى منتصف المنضدة وهو يواصل حديثه:

- لكن الحقيقة أن الصور كلها تصنع صورة واحدة لمشهد واحد.

نظروا للبطاقات التي صنعت صورة واحدة كاملة لمشهد طبيعي لجبل ما، وهتفوا معا:

- جبل (موسى) عليه السلام!

(عبد الرحمن) وهو يرفع هاتفه ليأخذ صورة للبطاقات:

- حان وقت الحقيقة.

استغرق بحثه بضعة ثوان حتى ظهرت النتيجة، ويقول (عبد الرحمن) بظفر:

- أنه هو (جبل موسى).

تقاربت رؤوسهم وهم ينظرون لهاتفه، هذه المرة كانت نتائج البحث الأولى تؤكد استنتاجهم وتظهر صور مطابقة وأخرى مشابهة للصورة التي شكلتها البطاقات.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة لبرهة، حتى قطع صمتهم صوت (حذيفة) وهو يقول:

- ثاء.. عين.. لام.. باء..

نظروا إليه والاستغراب خامسهم، فقال:

- ثعلب.. هذا الدكتور (مختار) ثعلب مكار..

ترنم (عاصم):

- خرج الثعلب يوما..

(محمد):

- في ثياب الواعظينا..

....

تثاءب (عبد الرحمن) حاجبا فمه بكفه وقال:

- لقد انجزنا الكثير اليوم، وبقي لآذان الفجر بضع ساعات، لننم الآن وننظر غدا فيما سنفعل.

وافقه الجميع ونهضوا إلى أسرِتهم..

و نهضوا إلى أسرِتهم..

إلى أسرِتهم..

أسرِتهم..

* * *

- (فتحي) ؟

- نعم يا (عبد الرحمن)؟

- هل أنت نائم؟

- نعم، ومن تحسبه أنه يكلمك هو شيطان من الجن يقلد صوتي.

- جميل، لماذا تؤمن أن الأرض مسطحة؟

- لأن هذه هي الحقيقة.

- و من أين جئت بهذه الحقيقة؟

- من قصة ذي القرنين في سورة الكهف [2].

(عبد الرحمن) مدهوشا:

- ذو القرنين؟.. سورة الكهف؟

(فتحي) وهو سِنة من النوم تتلاعب بصوته:

- مممممم.. ما بك؟.. ألا تعرف؟

- بل أعرفهما جيدا، وأحرص على قراءتها يوم الجمعة[3]، ولكن أين وجدت الدليل على أن الأرض مسطحة؟

(فتحي) وقد تركت السِنَة صوته:

---

[2] القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 83 إلى الآية 99

[3] فِي مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"

- بدأ ذو القرنين رحلته لمعرفة حدود الأرض بمطاردة الشمس إلى مغربها، ووصل إلى نهاية الأرض من جهة الغرب، حيث وجد عندها قوما، ثم رجع يطارد الشمس إلى مشرقها حتى وصل نهاية الأرض من الشرق، ولو أن الأرض كروية لما احتاج للرجوع لمطاردة مشرق الشمس، بل كانت رحلته الأولى ستعود به إلى النقطة التي بدأ منها رحلته.

أطلق (عبد الرحمن) صفيرا طويلا من شفتيه وقال:

- هل تعلم أنني أحرص على قراءة سورة الكهف كل جمعة منذ أكثر من سبع سنوات، ولم انظر لها كما نظرت.

(فتحي) وقد عادت السِنَة تتلاعب بصوته:

- هذا هو القرآن، إن كنت تريده تلاوة وأجرا فهو تلاوة وأجر، إن كنت تريده علما فهو بحر لا ينضب من العلم، إن كنت تريده نورا للحقيقة فهو نور للحقيقة، وإن كنت ترفض أن تؤمن به فسيجعل لك الشيطان منه ما يزيدك منه نفورا.

ساد الصمت بينهما وطال..

و أن الصمت أحيانا أبلغ من فصيح الكلام..

* * *

9- سيناء

- و لكن ماذا وجد ذو القرنين حين وصل نهاية الأرض؟

هذا السؤال من (عمر) إلى (فتحي) وهم في السيارة التي تأخذهم إلى (جبل موسى)، كان الطريق مرصوفا والسيارة تشقه بسرعة والجبال تنظر لها وتتسائل عن غايتها في هذا الصباح.

جاء الجواب على سؤال (عمر) من لسان (عاصم) الذي جلس بجوار السائق:

- وجد أرضا من الطين لا يمكن تجاوزها.

(عبد الرحمن):

- لم يستطع تجاوزها هو، لكن في عصرنا هذا ربما يمكن تجاوزها.

ابتسم (فتحي) وقال:

- لقد أوتي ذو القرنين من كل شيء سببا، ولو أن هناك طريقة لتجاوز تلك الأرض لمدّه الله بها، لكن الله اوحى إليه أن هذه نهاية الأرض، ويُقال أن ذي القرنين إذا بلغ موضعا لا يمكن تجاوزه، جعل فيه تمثالا من النحاس مادا يمناه وقد كُتب عليها "ليس ورائي مذهب".

وافقه (محمد) بهذه المعلومة:

- نعم، لأن السحاب كانت مُسخرة له تحمله حيث يشاء، وطريقة صُنع السد الذي صنعه ليحول بيننا وبين يأجوج ومأجوج، تُخبر أنه لا ينقصه العلم ولا القوة ولا الوسيلة.

هنا جاء دور السائق ليدلي بدلوه، ويظهر علمه وثقافته، لن يرضى بدور الممثل الذي يقدم القهوة في المسرحية دون كلام، كلا.. أنه مهم ومثقف ورغم أنف الجميع سيجعل له موضعا في هذه القصة، فقال:

- نعم، لولا السد الذي صنعه لوجدت يأجوج ومأجوج عندنا، انهم وحوش يأكلون الأخضر واليابس، الشجر والحجر..

يكفي يا عزيزي السائق.. يكفي، مشهد طويل مع جملة طويلة.. لقد نلت فرصتك، دعنا نعود لأبطالنا، لكن.. لا أن هذه فرصته ولن يتركها، ربما يصير بطلا في السلسلة وربما أكثر، لذا استمر في عناد يقول:

- لهم أذان كبيرة، الأولى فراش والثانية غطاء..

هنا أراد الساذج (عمر) أن يصحح معلومات السائق ~ويا عيني~ فقال:

- هذه خرافات، يأجوج ومأجوج من نسل (آدم) عليه السلام، ويختلفون عن نسل (آدم) عليه السلام في الهيئة كاختلاف أهل الصين وشرق آسيا وعموم الأمم عنا أهل الشرق العربي.

ساذج جدا هذا المُسمى (عمر)، ساذج ومسكين.. لماذا يصحح معلومات المرجع الأعلى؟ يبدو أنه لا يعلم حقيقة المتكلم.

هنا ترك السائق قيادة السيارة والتفت بكل بدنه إليه، كما يفعل الطفل الجالس في المقعد الأمامي ليتحدث مع من يجلس في المقعد الخلفي ~يبدو أنه يبحث عن دور البطولة في هذه القصة التي صارت قصة رعب~ وقال بقوة كأن يأجوج ومأجوج أبناء خالته:

- لا يا أستاذ، معلوماتك كلها خطأ، أنا خير من يعرف يأجوج ومأجوج، لقد قرأت الكثير ~طبعا قرأ الكثير~، يأجوج ومأجوج قصار القامة، عراض الوجوه وأذانهم طويلة، الأولى باطنها من الجلد وظاهرها من الشعر والثانية خلافها..

هنا انتبه الأبطال إلى فداحة، وحماقة فعلهم بعدم السكوت عن حديث السائق ~إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، ولقد ألمحت لهم بذلك ولكن.. ~ فأمسك (عاصم) بمقود السيارة وتعالت صيحاتهم إلى السائق بأن يعود إلى سياقة السيارة قبل أن تتحول أمنيات ذئاب الصحراء بتذوق الكفتة إلى حقيقة.

طبعا لا داعي لإكمال هذا المشهد، فقد أخذ السائق ناصية الحديث، وكأنه خطيب يوم الجمعة أو عالم عظيم في جامعة عريقة، وهم يهزون رؤوسهم بحماس ويوافقونه في كل ما يقول.

هذا هو الإنسان، اعطه النصيحة في رخائه فكأنك تعطيه نادرة، ولا يعلم قيمتها ولن يأخذ بها إلا وقت شدته، حين يكون الوقت قد فات أو أوشك.

* * *

- هل هذا جبل موسى؟

سأل (حذيفة) وهو ينظر إلى الجبل الوعر أمامه، الجبل الذي ليس على ظهره معلم يفيد بأنه معلم سياحي يأتيه السواح من كل مكان، ليس هناك

نَّقْب أو شّعْب في الجبل، بل صخور ونبات جبلي، وقد أحاطت به الجبال الأخرى والتضاريس الوعرة، والسائق يقول بحماس ملتهب:

- بل هو جبل (موسى) عليه السلام، لكن زواره قلة ويأتون في أوقات متباعدة.

أخذوا ينظرون إلى الجبل وإلى بعضهم، هذا جبل موسى!..

هنا حسم (عاصم) الأمر وقال بثقة وتأكيد:

- هذا جبل (موسى)، أنا أعرفه.

نظر إليه الباقون بما فيهم السائق بدهشة وهتفوا بصوت واحد:

- تعرفه؟!

أكد (عاصم) كلامه تأكيدا لفظيا:

- أنا أعرفه، أنا متأكد أنه جبل (موسى).

نظر إليه السائق باستغراب شديد وهو يحك خده ثم التفت إلى الباقين وقال بارتياح وتأكيد:

- ألم أقل لكم، إنني انقل السواح إليه بين الحين والآخر..

اتم جملته وهو يتجه إلى سيارته وهنا صاح (عبد الرحمن):

- إلى أين تذهب ؟ من سيعود بنا؟

أدار السائق محرك السيارة وقال:

- أنا.. أنا سأعود إليكم قبل غروب الشمس..

و انطلق بسيارته وستة أزواج من العيون تتبعه حتى غاب عن انظارهم وراء جبل قريب..

نظر (حذيفة) إلى الجبل وقال:

- لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(فتحي) وهو يتأمل الجبل بعمق:

- لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عمر) وهو يتأمل الجبل بعمق أعمق:

- لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عبد الرحمن) وهو يتأمل الجبل بعمق أعمق وأعمق:

- لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(محمد) وهو يتأمل الجبل بعمق أعمق وأعمق وأعمق:

- لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عاصم) وهو ينظر للجبل بغير اهتمام:

- هذا ليس جبل (موسى).

التفت إليه رؤوس الباقين بسرعة حتى أوشكت أن تُخلع من أعناقها، وبصوت واحد قالوا:

- ليس جبل (موسى)!

أكد (عاصم):

- ليس جبل (موسى).

(حذيفة) وقد أوشك شعره أن ينتزع نفسه من رأسه:

- لكنك أكدت كلام السائق بأن هذا جبل (موسى)!

(محمد) والجنون والدهون يوشكا أن يجعلاه قنبلة حية:

- و أنك تعرفه.

(عبد الرحمن) بهدوء شديد ولكنه هدوء من يحاول ابطال قنبلة على وشك الانفجار:

- و القصد؟

(عمر) وبمعنويات عالية جدا:

- لأنه يعرف الطريق إلى جبل (موسى) من هنا.

(فتحي) وهو يراقب (عاصم) باهتمام ينفي كلام (عمر) برأسه:

- إذا ما السبب؟

(عاصم) بثقة تجعلك تشك في نفسك:

- المرحلة الثالثة!

يا سلام!.. المرحلة الثالثة؟.. الم تنتهي بالعثور على مكان اللقاء بالدكتور (مختار) ؟.. الم يثبت الجميع ذكائهم في حل اللغز الذي وضعه الدكتور (مختار) ؟.. ما الجديد الآن؟.. ما الجديد؟

قال (عاصم) وهو يواجههم بهدوء:

- المرحلة الثالثة تشمل اللياقة البدنية..

قاطعه (محمد) بحدة هي للصياح أقرب:

- إذا كنت تعلم أن هذا ليس مكان اللقاء وسهلت للدكتور (مختار) مع السائق إحضارنا إلى هذا المكان!

صاح (عمر) مستغربا.. متعجبا.. غاضبا:

- هل تعني أن (عاصم) تواطئ مع الدكتور (مختار) والسائق لخداعنا؟

(حذيفة) بصوت قوي:
- هل كنت تساعدهم في خداعنا؟
(عاصم) بصوت عال وهادئ يحاول تهدئة غضبهم:
- لا، الأمر ليس كذلك، أنتم تعلمون أن السائق جائنا من قبل الدكتور (مختار)، ولاشك أنه يأتمر بأمره، حين أصر السائق على أن هذا هو جبل (موسى)، أدركت أنه يفعل ذلك بأمر من الدكتور (مختار)، لماذا؟.. لا يوجد سبب سوى إكمال المرحلة الثالثة، لذلك وافقت السائق وآزرته.
(عمر) بغيظ لم يفارق صوته:
- والآن.. ماذا سنفعل؟
(عاصم):
- سنذهب إلى مكان اللقاء، سنحاول العثور على جبل (موسى).
(فتحي) وكفه يصاحب كلامه:
- كيف؟ أخبرنا كيف؟ لا نعلم أين نحن؟ ولا أين جبل (موسى)؟
(عبد الرحمن) وهو ينظر للبيئة الجافة القاسية التي تحيط بهم:
- هذا ما يجب علينا أن نعرفه.
(حذيفة):
- و إن لم نستطع؟
(عبد الرحمن):
- سيعود السائق عند غروب الشمس..
أدركوا جميعا مغزى قوله، لذا قال (عمر):

- و سيأخذنا إلى فندقنا..

و أكمل (فتحي) عنه بصوت أقرب للهمس:

- و من ثم نعود إلى أوطاننا.

ترنم (حذيفة):

- كل بلاد العرب أوطاني..

ساد الصمت بينهم حتى قطعه (عمر) قائلا بصوت خافت وبدون مناسبة:

- أنا كردي..

و تبعه (عبد الرحمن) على نفس الهيئة:

- أنا أمازيغي.

نظر (عاصم) إليهم وبخفوت قال:

- قال تعالى { وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ }[4]

وعاد الصمت من جديد...

*** * ***

صامتون.. واجمون.. يفكرون.. ماذا عساهم يفعلون؟.. صوت (عاصم) قطع أفكارهم وهو يسأل (حذيفة):

- (حذيفة).. لماذا رغبت في هذه الرحلة؟

نظر (حذيفة) إليه وتأمل وفكر وقال:

- حبا في المغامرة ومشاهدة عالم يختلف عن عالمي.

أدار (عاصم) رأسه إلى (فتحي) وسأل:

- وأنت؟

---

[4] القرآن الكريم، سورة المؤمنين، الآية 52.

نظر (فتحي) إلى (عاصم) وتأمل وتأمل وتأمل والهدوء رفيقه قال:

- بحثا عن الحقيقة.. حب المغامرة.. مشاهدة العالم..

وجاء دور (عمر):

- أنا كل ما قالوه.

(محمد) وجد أن بعض الثرثرة لن تضر أحدا ~ طبعا تجاهل رغبتي في الاختصار وأن ثرثرته ترهقني~ فقال:

- أمنيتي كانت الحياة على ظهر سفينة تتنقل بين بقاع العالم، ربما لهذا درست هندسة السفن، ولكن الحياة خيبت أمالي حتى أنني لم أجد لنفسي عملا في تخصصي، لهذا وجدت هذه الرحلة بديلا جيدا لأمالي المندثرة.

دعنا نبدأ من جديد لنكتب قصة حياة الأستاذ (محمد)، ماذا يأكل؟.. ماذا يشرب؟.. كيف ينام؟.. متى يدخل الحمام؟.. أتمنى من الجميع الاختصار وعدم الثرثرة.. المغامرة بأحداثها وليس بثرثرة أبطالها.. وأنا أرى كثيرا من الثرثرة.. حتى أوشكت هذه المغامرة أن يكون عنوانها "ثرثرة فوق السحاب".

و (عبد الرحمن) قال ما هو آت:

- أتمنى أن أضيف جديدا لعلم الصيدلة، وعسى أن تحقق هذه الرحلة طموحي وأن أجد شيئا شديدا، فإن لم يحدث فمشاهدة العالم أمر جميل، والمغامرة والاستكشاف لا بأس بهما.

ظلمت (محمدا).. يبدو أن له منافسا يحب الثرثرة.. والآن.. الآن حان دور الزعيم رقم صفر الذي لا يعرف حقيقته أحد، فقال (عاصم):

- وأنا خرجت بحثا عن واقع أفضل، وآفاق جديدة، ولأجل المغامرة ولأمر لم تنطقوا به جهارا.. المجد.. المجد الذي نسعى له من هذه الرحلة..

ثم ماذا بعد يا (عاصم)؟ سألت وسألت وسألت وسألت.. ثم؟

يبدو أنه يملك إجابة.. كيف عرفت؟.. لأنه أستمر في الحديث.. ثرثار هو الآخر.

- جميعنا خرجنا لتحقيق شيء أو أشياء، ومن بينها المغامرة، ولكن ما هي المغامرة؟، هي الأحداث التي تمر بنا، والمخاطر التي نتعرض لها في سبيل بلوغ أهدافنا وغاياتنا، وكلما عظم الهدف أو الغاية زادت الصعاب والمخاطر ولكن المغامرة تصبح أكثر متعة وإثارة، وكل شيء يهون لأجل الغاية العظيمة، والانسان بطبعه لا يشعر بعبرة الحدث ومغزاه ولذته أثناء وقوعه بل بعد انقضاءه، فهل سنكون كأكثر الناس الذين يحلمون بالمجد والمغامرة، ثم ينقلبوا على أعقابهم عند أول عثرة، ما نواجهه الآن قد يكون أقل الأشياء ضررا وخطرا مما سنواجهه أثناء رحلتنا، فهل ننقلب على أعقابنا عند أوائل العثرات أم نستمر حتى تحقيق أهدافنا وغاياتنا؟

هذا ليس حديثا.. هذه خطبة الجمعة في بث حي ومباشر، يبدو أن الزعيم رقم صفر نسي حقيقته، وتخيل أنه خطيب!

* * *

10- البحث عن جبل

لكن.. يبدو أن كلامه حرك فيهم شيئا وأشعل جذوة الأحلام التي أوشك اليأس أن يطفئها، وعادت الهمة تتدفق في ابدانهم بعد خطبة الزعيم رقم صفر، لذا قال (عمر):

- سنحاول الوصول إلى مكان اللقاء مهما كانت الصعاب.

بدأ الحماس يسري فيهم، ويجبر الدماء على دخول أدمغتهم لتعمل بكفاءة ظهرت في حديثهم.

(عبد الرحمن):

- نحتاج الآن لتحديد موقعنا إلى موقع جبل (موسى) عليه السلام.

(عاصم):

- المسافة بيننا وبينه هي أقل من ثلاث ساعات سيرا على الأقدام.

(حذيفة) مدهوشا:

- كيف عرفت؟

(عاصم):

- لقد انطلقنا الساعة السادسة صباحا وبلغنا هذا المكان في السابعة والنصف، وموعدنا مع الدكتور (مختار) في العاشرة والنصف، هذا يعني أننا نبعد عن مكان اللقاء بمقدار ثلاث ساعات أو أقل سيرا على الأقدام، لأن الدكتور (مختار) يساعد دائما في حل المعضلة، السؤال الآن، في أي اتجاه سنمضي؟

(عمر):

- ثلاث ساعات على الأقدام تعني قرابة ثمانية عشر كيلومترا، هل سيمضي كل واحد منا في اتجاه؟

(عاصم):

- لا، سنبقى معا، في الطريق كانت لوحة تقول إن المسافة إلى جبل (موسى) أربعون كيلومترا.

بفرح وانتصار وبهجة قال (محمد):

- عند هذه اللوحة قال السائق أن الساعة هي السابعة تماما.

(فتحي):

- لو علمنا سرعة السيارة لعلمنا المسافة.

(عاصم):

- ستون كيلومترا، لقد نظر..

(عبد الرحمن) مقاطعا بقوة.. بعنف.. بسعادة وسرور:

- نعم لقد سأل (حذيفة) السائق أن يزيد سرعة السيارة، لكنه قال أنه لا يستطيع أن يتجاوز ستين كيلومترا في الساعة.

(عاصم):

- إذا من علامة الطريق إلى هنا قرابة ثلاثين كيلومترا، هذا يعني أن أمامنا عشرة كيلومترات..تقريبا.

(عمر):

- و لكن في اتجاه؟

سبق (فتحي) (عاصم) في الحديث:

- سنعود للطريق المرصوف ونسير معه، حتما سنجد على الطريق قرب جبل (موسى) علامة أو لافتة تدل على الجبل.

نظروا إلى الجبال المحيطة بهم والطبيعة القاسية، المعضلة أن السائق سار بهم فترة لا بأس بها بين الجبال، منذ أن خرج عن الطريق المرصوف، ولكنهم ساروا بهمة وعزم وعيونهم تبحث عن آثار السيارة، الآثار تظهر وتختفي حسب طبيعة الأرض، وهم يصعدون تلالا ويهبطونها ويدورون حول الجبال.

كانوا متباعدين ولكن كل منهم يرى الآخر ويسمعه، ولكن لكل شيء نهاية، والنهاية كانت صخورا كثيرة كبيرة تغلق الفج بين جبلين..

(حذيفة):

- هل جئنا من هنا؟

(عمر):

- بالتأكيد، آثار السيارة تقود إلى هذا المكان.

(حذيفة) بغيظ:

- إذا من أغلق الطريق؟ كيف جاءت الصخور؟

كان من الواضح أن الطريق أُغلق بانهيار جبلي.. لكن متى؟.. وكيف؟.. لقد جاءوا من هنا منذ دقائق قليلة..

(عاصم) يقول وهو ينظر حوله:

- هذا لا يهم الآن، يجب علينا تجاوز هذه الصخور.

نظروا للجانب الأيمن فإذا سفح الجبل يرتفع عموديا، فنظروا للآخر فقال لهم "أنا مثل أخي".

(فتحي) متأملا الجبل الأيمن ويقول:

- لا بديل عن تسلق الجبل للوصول للجهة الأخرى.

(عبد الرحمن):

- لنرجع نبحث عن منفذ آخر.

(محمد):

- وهل يوجد منفذ آخر؟ من المكان الذي تُركنا فيه إلى هنا جبال لا تنفصل على الجانبين.

صمتوا فلم يكن هناك حلا آخر، لذا اتجهوا جميعا للجبل الأيمن لتسلقه، لماذا الأيمن ؟ لأنهم ظنوا أنهم قادرون على تجاوزه، وأنني لفي شك من ذلك عظيم.

حين يلتقون الدكتور (مختار)، ستكون لهم كلمتان معه حول أفكاره الإبداعية، كلمتان ثقيلتان..

صعدوا بضعة أمتار حين اهتز المكان بصوت عال..

صوت مخيف..

مخيف جدا..

أشبه بالزئير..

يا (ماما)..

* * *

رائع.. رائع جدا.. هذا ما أريده.. بعض الخطر.. بعض الإثارة.. حيوانات مفترسة.. تركض خلفهم لتعض مؤخراتهم.. صراخ.. تسلق.. لكمات.. هذا ما أريده.. أنني فخور بأنني أكتب مغامرة هؤلاء الشبان بعد أن أوشك الملل أن يقتلني بثرثرتهم.. رائع.. رائع جدا.. رائع إلى ما لا نهاية..

* * *

هنا التفتت خمسة أزواج من الأعين لتلتقي على وجه (محمد)، وبصوت واحد قالوا:

- ما هذا؟

ابتلع (محمد) ريقه وقال بثقة وشجاعة:

- لا أعلم.

طبعا لأنهم في مصر و(محمد) المسكين مصري، فأنهم يتوقعون منه أن يعرف كل شيء.

كم عدد حبات رمال مصر؟ (محمد) يعرف.. كم عدد نجوم سماء مصر؟ (محمد) يعرف.. كم عدد المصريين الذين أصابهم الإسهال ليلة أمس؟ (محمد) يعرف..

و (محمد) مثلنا جميعا لا يعرف إلا المعلومات العامة عن بلده، ما الوجبات الرئيسية في اليوم؟ الإفطار والغداء والعشاء.. متى ندخل الحمام؟ حين نشعر بالحاجة إليه.. من أين تشرق الشمس؟ من النافذة الشرقية في بيوتنا.. وأين تغرب؟ خلف بيوت الجيران في الجهة الغربية.. معلومات عامة فقط..

والمصيبة أنّ في عيونهم نظرة اتهام، كأنه الوكيل الرسمي والوحيد والمعتمد عن حيوانات مصر.. يعرف عددها وماذا تفعل وأوقات نومها وتزاوجها.. وأن هذا الصوت لا يمكن أن يخرج إلا بأمر من (محمد) لهذا الحيوان.. بل ربما كان هذا الحيوان في جيبه ثم أطلقه في الجبل ليفزعهم..

لم تتحرك عيونهم عن وجهه والشك لا يزال فيها..

(عمر):

- هل توجد حيوانات مفترسة هنا؟

(محمد) بثقة لا يتخللها شك:

- لا أعلم.

(عبد الرحمن) والغيظ يقف مع الشك في عينيه:

- كل شيء لا تعلمه، فماذا تعلم إذا؟

(محمد):

- لا أعلم.

بدأت أشك أنه يعاني من صدمة ما بعد الزئير، فهو يردد "لا أعلم"، أنها تشبه صدمة ما بعد الصدمة.

أخذ (عاصم) يلتفت حوله كأنه يبحث عن مصدر الصوت وقال:

- لنتجاهل ذلك ونعاود المسير.

هنا.. وكأن صاحب الزئير شعر بأنهم يتجاهلونه.. فعاد الزئير مجددا..

قويا..

عميقا..

مرعبا..

*** * ***

(عاصم) أسرعهم قرارا فقال:

- هيا لنعبر الجبل بسرعة.

واندفع يركض على سفح الجبل متجها لقمته والبقية تتبعه..

لا يعلمون أيركضون بعيدا عن الصوت؟.. أم إليه؟

ما هذا ؟.. أنهم يهربون!.. أين الشجاعة؟ لماذا لا يبحثون عن مصدر الصوت ويمسكون به؟ ثم طاخ.. طيخ.. جبناء..

و (محمد) في أخراهم يهز دهنه ويحاول أن يدركهم، وكأغلبنا حين وقوع المحن والمصائب، أقسم إن نجا من هذه المحنة، سيمارس حمية قاسية ولن يقرب الطعام أبدا، وسيمارس الرياضة كل يوم.. بل كل حين ووقت.. سنرى يا سيادة المهندس (محمد) حين تنتهي هذه المحنة.. أتصدق أم تكون من الكاذبين؟

طبعا سبقهم (حذيفة) وهو يركض صعودا ويقفز فوق الصخور ويدور حول الأشواك و(عاصم) من خلفه يناديه..

فلما انتبه بعد حين، التفت إلى (عاصم)، فوجده يشير بيده أن يدور حول سفح الجبل، هنا توقف (حذيفة) وقد جعل كفيه على ركبتيه ويعب الهواء عبا ~لياقتهم عالية هؤلاء الشباب~، ثم انطلق يجري في اتجاه (عاصم)، الذي يتبعه (عمر) فـ (فتحي) فـ (عبد الرحمن) ثم على مسافة منهم (محمد)..

في لحظات أدرك (حذيفة) (عاصم) الذي قال وهو يواصل الركض:

- صاروخ يا (حذيفة).

(حذيفة) وهو يتجاوز (عاصم):

- لن تنتهي رحلتي هنا في معدة وحش من وحوش الجبل.

هنا تعالى نداء (محمد) من ورائهم أن أدركوني، توقفوا جميعا ونظروا خلفهم، كان (محمد) قد جلس على ساقيه ووضع يديه على ركبتيه، ساروا نحوه مسرعين رغم المسافة التي تفصلهم عنه..

- دعـ.. العـ.. العو..

أمسك (حذيفة) بكتف (محمد) وهو يقول:

- خذ نفَسا.. خذ نفَسا..

(عبد الرحمن) وهو ينحني واضعا كفيه على ركبتيه:

- نحن.. نحن هـ.. نحن هنا.. مـ.. معك.. لن نتـ.. ركك.

(عاصم) وهو يعتلي صخرة ويجعلها منارة ينظر منها إلى ما حولهم:

- لا داعي للخوف.. لا يوجد شيء.. لا يوجد خطر..

مرة أخرى كأن صاحب الصوت يستنكر تجاهله..

فدوى الزئير..

عاليا..

عميقا..

قريبا..

يا سلاااام.. ما أروعك.. ما أبدعك..

* * *

انتفضت قلوبهم في أقفاصها الضيقة حتى أوشكت أن تهدمها..

ما هذه القلوب الخرعة..

الحمد لله أن حالهم لم يساعدهم على الركض والهرب، فبقوا في مكانهم يلتفتون حولهم..

(عاصم) وهو ينفض المكان نفضا ~ينظر لكل ما في المكان بعينيه~:

ـليمسك كل منا بشيء يدافع به عن نفسه.

نظروا حولهم فلم يجدوا إلا صخورا وحصى، أمسك كل منهم بصخرة وصنعوا دائرة، (محمد) مركزها ووجوههم خارجها..

(عاصم):

- (محمد) هل تستطيع المشي؟

(محمد):

- المشي نعم، أما الجري لا.

(عاصم):

- سنسير معا إهطاعا ~مشية المسرع الخائف~، وندور حول سفح الجبل حتى نصل الجهة الأخرى منه ونهبط لنكمل طريقنا، خذوا الحذر.

ساروا إهطاعا ولكن (محمد) كان يسرع بهم حتى كأنهم يركضون، يبدو أن الخوف أفضل وسيلة لشحذ الهمم..

لم يتكلم أحد منهم، وهم يهموا في السير وتجاوز الوعر والالتفاف حوله، حتى قطع سكوتهم صوت (فتحي):

- انظروا..

نظروا إلى حيث يشير.. وهناك في البعيد ظهر واضحا..

(عبد الرحمن):

- هذا جبل (موسى).

(عمر):

- هذا جبل (موسى).

(محمد):

- هذا.. هذا جبل (موسى).

(حذيفة):

- هذا جبل (موسى).

(فتحي) وهو يشير إلى خط في الأفق:

- و هذا الطريق إليه.

(عاصم):

- سنتجه للجبل مباشرة.

(حذيفة):

- إذا اتجهنا للطريق المرصوف ثم إليه كان أفضل.

(عاصم):

- كلاهما أرض وعرة، ولكن الذهاب للطريق أفضل الخيارين.

أخذ (عاصم) يهبط سفح الجبل وهم من خلفه..

ساروا والصمت سابعهم وتأكدت حقيقة لياقتهم البدنية، (عبد الرحمن) يلهث، و(محمد) يسبح في عرقه وقد وجده الذباب وجبة دسمه، أما الباقون فكانت لياقتهم لا بأس بها.

* * *

11- وداع أم لقاء

كان المسير شاقا في وأخذ منهم وقتا طويلا و..

هنا تذكر (عاصم) أنه يجب أن يتكلم حتى أجد ما اكتبه، فسأل (فتحي):

- فيما تفكر؟

زفر (فتحي) وقال:

- سورة الكهف، "وجدها تغرب في عين حمئة"، يقول المفسرون أن المقصود بعين حمئة هو بحر من الطين الأسود، شيء أشبه بالرمال المتحركة، في القرآن كل كلمة مقصودة ولها معنى دقيق، هنا وردت كلمة عين وليس بحر، لماذا؟ مع أن كلمة بحر وردت في القرآن، إلا أن كلمة عين هي من أُستخدمت في هذا الموضع.

(عاصم):

- لأن خصائص المكان لا تنطبق على البحر.

(فتحي):

- بالضبط، لقد انتهت حدود المكان المعروفة بالنسبة إلى ذي القرنين، وهنا عجز المفسرون عن تفسير نهاية الوجود المعروف لأنه يصعب تخيلها، لذلك وضعوا ذلك التفسير الذي يتناسب معهم وليس مع الحقيقة، أما بخصوص الشمس فواصلت مسيرها وبدت لذي القرنين أنها تغوص في عين حمئة والحقيقة إنه ثقب أسود، ثقب أسود أشبه بالعين الحمئة في فهم ذي القرنين.

(عاصم):

- عين حمئة جاءت لوصف تصور ذي القرنين وليس حقيقة ما يحدث للشمس.

(عمر):

- حديثك يثير القشعريرة في بدني، هل تتخيل نفسك على حافة الوجود حيث ينتهي عالمنا المعروف ويبدأ وجود آخر تختلف قواعده عن قواعد عالمنا؟

الحقيقة أن القشعريرة الباردة سرت في ابدانهم جميعا، حتى أنها جمدت الدهون المتبقية في (محمد) قبل أن يتلاشى من الوجود نتيجة الذوبان السريع لدهونه.

وضع (حذيفة) كفه غطاء يحجب به الشمس عن عينيه، وينظر إلى الطريق المرصوف الذي يختفي خلف البيئة الجبلية الوعرة وقال:

- لم نعد نرى الطريق!

(عمر):

- ولكننا نسير في اتجاهه.

استخدم (محمد) ياقة قميصه كمروحة وقال من بين عذاباته:

- الشمس تشوينا شيا.

دعك من هؤلاء ومعاناتهم، لا أحسب لديهم شيء ذي قيمة ودعنا نعود إلى (عاصم) و(فتحي).

(عاصم):

- رحلة ذي القرنين من المغرب إلى المشرق استغرقت اثنتي عشرة سنة.. اثنتا عشرة سنة يا (فتحي).

(فتحي):

- اثنتا عشرة سنة استغرقها رجل[5] أُوتي من كل شيء سببا.

(حذيفة):

- اثنتا عشرة سنة.. إذا أُعطينا عُشر ما أُعطي فسنحتاج مئة وعشرين سنة..

(عمر):

- مئة وعشرون سنة حتى نعود إلى نفس النقطة إذا كانت كروية، وستون سنة لنصل إلى حافة العالم إذا كانت مسطحة، هذا على افتراض أننا في وسط المسافة.

(محمد):

- هذا أذا لم تكن مزيجا من هذا وذاك.

(عبد الرحمن) والدهشة تبحث فيه عن بعض القوة لتضع نفسها على وجهه:

- و كيف هذا؟

لم يتكلم (محمد) وأخرج من جيب قميصه دفتر ملاحظات ~معذرة أنه شيء مبتل يشبه الورقة السميكة~، وثناه على شكل أسطوانة وقال:

[5] أغلب الظن أن ذي القرنين رجل صالح وليس نبيا أو رسولا.

- هكذا.. إذا سرت حول محيطها الدائري فأنت تسير على أرض كروية، ولكن إذا سرت بين طرفي الأسطوانة فأنت تسير على أرض مستوية، ولعل ذي القرنين سار على الجزء المستوي من الأرض.

نظروا إليه في دهشة وساد الصمت بُرهة، قبل أن يقطعه (فتحي):

- لا، لا أظن ذلك.

(عاصم):

- ولكنه احتمال لا بأس به، رغم أن حظه من الحقيقة قليل.

(محمد) وهو يعيد ذلك الشيء المُسمى دفتر الملاحظات إلى جيبه:

- لماذا ؟

(عبد الرحمن):

- لم تذكر هذه الهيئة في كتب المهتمين ولم يُلمح إليها.

(محمد):

- ربما نكون أول من يكتشفها ويتحقق منها.

من غير اقتناع قال (عبد الرحمن):

- ربما.

(عمر) وهو ينظر للطريق المرصوف على مسافة منهم:

- لقد أوشكنا على الوصول.

نظروا جميعا إلى الوقت، كل إلى ساعته أو هاتفه النقال، الساعة هي الحادية عشرة وسبع دقائق.. لقد استغرق مسيرهم وقتا طويلا، لقد تجاوزوا الموعد المحدد بسبع وثلاثين دقيقة.

* * *

(محمد) بقنوط يُحسد عليه:

- لقد فات الموعد، لاشك أن الدكتور (مختار) قد غادر.

(عاصم) بعزم وتصميم:

- لن أعود بدون زيارة جبل (موسى).

(فتحي) وابتسامة شاحبة على وجهه:

- على الأقل سنقول أننا زرنا مصر.

لم يتكلم الباقون وواصلوا المسير حتى وطئت أقدامهم الطريق المرصوف أسفل جبل (موسى)، لقد اقتربوا من الجبل دون أن يدركوا ذلك، ولأول مرة أدركوا أنهم في مكان مطروق، هناك طريق عبارة عن سلم من الصخور إلى رأس الجبل، ورجل كبير السن يرتدي ثياب تشبه ثياب بدو سيناء على مسافة منهم، اقتربوا منه وبعد السلام سأله (حذيفة) عن نهاية الطريق في الجبل.

الرجل:

- سر على السلم وستجد النهاية أمامك.

شكراً يا حاج على هذه المعلومة الثمينة، مضوا صعودا على سلالم صخرية طويلة مُتعبة، لقد علموا الآن لماذا يفضل الناس صعود الجبل بعد العصر، ساروا حتى وصلوا النهاية.. حسناً.. كانت خالية.. رغم تأخرهم.. كان الأمل

يحدوهم بأن يجدوا الدكتور (مختار) ينتظرهم.. ولكن المكان كان خاليا.. من كل شيء إلا الصخور وبعض النبات.. وبعض آثار الأقدام تُخبر أن ها هنا كان أُناس قبل وقت قليل..

(عمر) بصوت حزين:

- لقد غادر بدوننا..

لقد تأخروا كثيرا.. كثيرا جدا.. ساد صمت حزين بينهم وهم ينظرون إلى بعضهم البعض..

هذه هي النهاية..

نهاية رحلتهم..

ونهاية أمالهم..

*** * ***

- وهل استطيع أن أغادر من دونكم يا أعزائي..

هذه كانت من الدكتور (مختار) وهو يبرز من وراء ثنية في الجبل وخلفه شاب..

المفاجأة الرائعة.. الجميلة جمدتهم في أماكنهم، قبل أن يذوب الثلج ويندفعوا نحوه مهللين ومرحبين..

ماهذا؟ أين الكلمات الثقيلة؟ والتهديد والوعيد.. أين ذهب كل هذا؟.. ذهب أدراج الرياح!..

وضع الدكتور (مختار) يده على كتف الشاب الذي معه، وقال بفخر:

- ابني (نور)، مصور محترف ويجيد عمليات الرسم والتحرير بالحاسوب، وهو من سيوثق رحلتنا بالصور والمرئيات.

لحظة.. توقف هنا.. ماذا سيفعل هذا الـ (نور)؟ يوثق رحلتكم؟.. وماذا أفعل أنا؟ أكتب حكاية حمار جحا؟.. ماذا أفعل أنا؟ وأنا منذ البداية أوثق رحلتكم.. بدءا من الأستاذ (عاصم).. الأستاذ (عاصم) دخل.. الأستاذ (عاصم) خرج.. الأستاذ (عاصم) أكل.. الأستاذ (عاصم) شرب.. ثم يأتي هذا الـ (نور) ليأخذ دوري وعملي.. هكذا بدون مقدمات ولا مؤهلات.. من الذي كان معهم من بيوتهم إلى الفندق إلى الشقة؟ أنا، أليس كذلك؟ من كان معهم وهم يحلون أحاجي الدكتور (مختار) ويذهبون من مكان إلى مكان؟ أليس أنا؟ من كان معهم من القاهرة إلى سيناء إلى جبل (موسى)؟ أليس أنا؟ أنا أوثق رحلتهم وأكتب كل شيء عنهم، وأنفاسي أوشكت أن تُزهق وأنا أركض معهم هنا وهناك، وأصعد معهم الجبل مع أن لياقتي سيئة، حتى أنني لا أظهر في المشاهد أبدا واكتفي بالتوثيق وكتابة اسمي على المذكرات، ثم يأتي هذا الـ (نور) ليأخذ دوري وعملي وتضحياتي العظيمة..

ثم ما هذا الـ (نور)؟ دعوني أصفه لكم.. يقارب (حذيفة) في الطول ولكنه ربما أقصر بقيد أنملة، ونحيل مثله ولكن بشرته قمحية قريبة من البيضاء، وشعره ناعم قصير، الحقيقة أن ملامحه أنثوية حتى أن وصفه بـ "جميل" أدق من وصفه بـ "وسيم"، وقد أدرك هو هذه الحقيقة فحاول أن يُظهر رجولته، فنفش صدره وحاول أن يجعل صوته خشنا باصطناع بحة لا

تفارقه، وإظهار خشونة في تصرفاته.. أن هذا الـ (نور) يصلح لدور (مامي) و(دادي) وليس لتوثيق رحلة عظيمة..
ثم أن الدكتور (مختار) فخور به كأن هذا الـ (نور) فاتح القسطنطينية أو الأندلس..
أن ما يحدث هنا لهو الهراء..
الهراء ذاته..

*** * ***

- لن نتبع سير ذي القرنين.
قالها الدكتور (مختار) وهم جلوس جميعا في بهو الفندق، ثم أكمل:
- سأخفي مسار الرحلة مؤقتا لأجل أمننا.
و حلت الجدية على وجهه مع قوله:
- أتمنى أن تدركوا جميعا أن رحلتنا مهمة جدا، وهي تمثل للبعض خطورة شديدة على خططه وأهدافه، تجعله يحرص على منعها بكل جهده، لذا يجب أن لا يعلم أحد وجهتنا وماذا نفعل.
وافقه الباقون ولكن (حذيفة) سأل عما يدور في ذهني:
- وما وجه الخطورة التي تمثلها رحلتنا؟ وماذا ندعي أننا نفعل هنا؟
الدكتور (مختار):
- خطورتها أنها تهدم أكثر من أربعة قرون من التزوير، وأكثر من تسعين سنة من التظليل وتغيير الحقائق، أما ما نفعله هنا هو السياحة.
(فتحي):

- ومتى سننطلق إلى وجهتنا؟
الدكتور (مختار):
- لنكن مستعدين في أي لحظة.
نهض الدكتور (مختار) وخص (عاصم) بحديثه:
- سأتحدث إليك في أمر ما.
والتفت للباقين مردفا:
- كما قلت (نور) بمثابة ابني، وهو من سيوثق رحلتنا، أرجو منكم معاونته ومساعدته.
أكد المتبقون وهم ينظرون إليه مع (عاصم)- الذي وقف بدوره- حرصهم على ذلك.
يا سلام.. يا سلام.. وكأن هذا الـ (نور) درة هذا الزمان ومحور الأفلاك.. أرجو منكم معاونته ومساعدته.. هذا الـ..
(عمر) وهو يغير مجلسه ليصير جوار ذلك الـ (نور):
- بمثابة ابنه؟ الم يقل أنك ابنه؟
الـ (نور) وهو يضع ساعديه على ركبتيه في فتوة مفتعلة، وبحة ملحوظة:
- الدكتور (مختار) هو أستاذي وكان له دور كبير في دراستي الجامعية، وعلاقتنا أشبه بعلاقة الأب بابنه.
(فتحي):
- لهجتك شامية!، من أي جزء منها؟
ذلك الـ (نور):

- لبنان.

أهلا وسهلاً.. سهلاً وأهلاً.. هذه أصبحت جامعة الدول العربية وليس فريق مغامرات.. لا.. لقد أصبحت منظمة المؤتمر الإسلامي كي لا ينزعج (عمر) و(عبد الرحمن).. أخشى أن تصبح هذه المغامرة عبارة عن شجب واستنكار.. المصيبة أن يصيروا بعد قليل هيئة الأمم المتحدة ولا هم لهم سوى الإعراب عن القلق.. وتصير المغامرة كلمة على صفحة ماء.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

* * *

12- الطرف الآخر

وضعوا حقائبهم في القارب الكبير والظلام يحيط بكل شيء، والنجوم تلمع كالجواهر في السماء الحالكة، كانت ليلة لا قمر فيها ولا ضياء، و(عبد الرحمن) ينظر حوله فلا يرى شيئا سوى قمم الجبال المظلمة تطل عليهم، كمردة يتساءلون، ماذا هؤلاء يفعلون؟

حتى السيارة التي احضرتهم، اخفاها الظلام فلم يظهر منها شيئا، وقال (عمر) همسا:

- أشعر بأننا مجموعة من اللصوص أو المهربين.

رد عليه (عاصم) همسا بدوره:

- صدقا، أن مصير اللصوص والمهربين سيكون أفضل من مصيرنا، أن من يعرف مهمتنا وخطورتها على أهدافه ومشاريعه، سيجد أن موتنا أنجع مصير لنا.

انسل (حذيفة) ليقف بينهم ويهمس:

- هل تثقون في الدكتور (مختار) ؟

(عاصم):

- لا أظن أن لهذا السؤال قيمة الآن.

نظروا إلى الظلام الذي يُخفي الدكتور (مختار) وهو يتحدث مع السائق الذي أحضرهم، ثم دارت الرؤوس إلى النوتي الذي انهمك مع (محمد) و(عبد الرحمن) في وضع وترتيب الحقائب.

(حذيفة):

- أين (نور)؟

(فتحي):

- مع الدكتور (مختار) والسائق.

(حذيفة):

- هل تعلمون وجهتنا؟

(عاصم):

- سنذهب إلى حيث ننتظر في مكان ما، إلى حين تبدأ رحلتنا.

(فتحي):

- لكن أين وجهتنا الحالية؟

(عاصم):

- ليس مهما الآن.

(حذيفة):

- لكن أنت تعلم أين هي؟

(عاصم):

- أعلم ولكن من الأفضل أن لا يعلمها الجميع، يجب أن نعوّد أنفسنا على الثقة بالدكتور (مختار).

(فتحي) منزعجا:

- ألا ترى أن يخصك الدكتور (مختار) بثقته من بيننا فيه إهانة لنا؟

(حذيفة):

- هذا صحيح، لماذا أنت بالذات؟

جاء صوت الدكتور (مختار) قريبا منـهم:

- لأن هذا أفضل للجميع، السر عبئ ثقيل، يجعل الإنسان راحته في نقله من كاهله الى كواهل الآخرين.

التفت (فتحي) إلى الظلمة التي اتخذت هيئة الدكتور (مختار) قائلا:

- ولماذا (عاصم) من دوننا؟

اقترب منهم أكثر وقال:

- هذا السؤال يجيب عنه الاختبار النفسي الذي اجبتم عنه جميعا.

(حذيفة) محتدا.. منزعجا:

- أي اختبار هذا؟ لم نخضع لأي اختبار.

(فتحي) وقد عاد الهدوء لصوته:

- أنه يقصد أول اختبار لنا، تطبيق الأسئلة الذي قمنا بتحميله والإجابة عن أسئلته.

الدكتور (مختار) بصوت عال:

- جاهز يا (سعيد)؟

رد عليه النوتي:

- جاهز يا معلم.

سار الدكتور (مختار) من أمامهم وهو يقول:

- هيا بنا.

ركبوا جميعا القارب ورفع النوتي الخشبة الطويلة التي كانت جسرا بين القارب والأرض، وأدار المحرك وانطلق والصمت معهم والظلام يبتلعهم أكثر فأكثر..

*** * ***

وهناك بعيدا بعيدا.. يا ابن الحلال.. انس موضوع بيت خالتك وبيت جدك.. أنا أقول بعيدا بعيدا.. فتقول لي عند بيت خالتي وبيت عمتي.. ما هذا الإنسان الذي لا يعلم من الدنيا إلا بيت خالته وبيت عمته؟.. صلة الأرحام أمر محمود.. لكن أن تصبح كل عالمك فهو أمر مذموم.. ثم أين بيت عمك وبيت خالك؟..

*** * ***

هناك بعيدا بعيدا.. في الولايات المتحدة الأمريكية.. في مكتب داخل مركز المخابرات الأمريكية في فرجينيا.. نعم هو (سي. آي. إيه).. جلس ثلاثة رجال.

قال الجالس خلف المكتب:

- ما أخبارهم؟

قال الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

- الفريق الأمريكي يتحرك بثقة ووضوح وهم سينطلقون قريبا في اتجاه الغرب، الفريق الآسيوي انطلق بالفعل في اتجاه الشرق، الفريق الأوروبي سينطلق نحو الشمال في أول الشهر، وهم حذرون جدا ويحاولون التمويه والتخفي، لكنهم تحت أعيننا، الفريق العربي يتحرك بحذر شديد جدا، انقطعت أخبارهم في سيناء.

الجالس خلف المكتب:

- انقطعت أخبارهم؟

الجالس أمام المكتب إلى يساره:

- لا نزال نبحث عنهم، نعتقد أنهم في سيناء مصر حتى الآن، وسنعثر عليهم قريبا، وسفينتهم تحت الرقابة الشديدة وهي لم تغادر ميناء الاسكندرونة في تركيا حتى الآن.

الجالس وراء المكتب:

- العرب يتحركون بحذر شديد لأنهم يعلمون أن لا ظهر لهم، والقضاء عليهم لن يثير اهتمام أحد، المهم ما هي الخطوة التالية؟

الجالس أمام المكتب إلى يساره:

- سننتظر خروجهم من نطاق الاتصال مع عالمنا، بحيث لا يمكنهم الاتصال بأي جهة، ثم سيتم التعامل معهم بشكل حاسم ونهائي.

الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

- سيتركون خلفهم عوامات تحمل عتاد لتقوية إشارة الاتصال، لضمان بقاء الاتصال مع أرضنا لأطول فترة ممكنة، ولكن الفريق الأمريكي سيعتمد على تقنية قريبة من تقنيات أقمار الطقس الاصطناعية لنفس الغرض.

الجالس خلف المكتب:

- لا يمكن السماح لهم بتجاوز حدود أرضنا، سيدمرون جهد ما يزيد عن سبعين سنة من العمل الشاق في إقناع الناس أن هذا هو عالمنا كله، وسيفضح ما نحاول إخفاءه والاحتفاظ به لأمتنا.

الجالس أمام المكتب إلى يساره:

- سيدي لا يمكننا فعل شيء الآن، سننتظر حتى يقترب انقطاع اتصالهم بأرضنا، وهذا سيحدث قبل مغادرتهم أرضنا، في تلك اللحظة سيفكرون بإنشاء نقطة تقوية اتصال، في تلك اللحظة فقط سننقض عليهم وندمرهم تدميرا كاملا.

قال الجالس خلف المكتب وقد راق له موضوع التدمير ~أليس أمريكيا~:

- يبقى هؤلاء مجرد منفذين ويتبقى موضوع الجهات الممولة، يجب الوصول إليها والقضاء عليها، لمنع تكرار هذه الحملات وزرع الخوف والرعب في قلب من يحاول تكرارها.

الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

- الجهات الممولة كانت أكثر حذرا من المنفذين - ربما لأنها تدرك خطورة ما تفعله- وهي تتخفى بشكل جيد، ولكننا نجد في البحث عنها، وحتما سنصل إليها قريبا.

الجالس خلف المكتب:

- القضاء على الممولين لا يقل أهمية عن المنفذين، بل أن القضاء عليهم أكبر أهمية، فبدونهم لن يكون هناك منفذين.

الجالس أمام المكتب إلى يساره:

- بالتأكيد يا سيدي، بالتأكيد، نحن نقوم حاليا بالتدقيق في جميع حسابات البنوك، في جميع أنحاء العالم، لمعرفة الحسابات التي أُستخدمت في شراء أو تأجير معدات المنفذين وكل ما له صلة بهم، وسنصل حتما إلى طرف خيط يقودنا إليهم.

أكمل عنه الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

- وحين نصل إليهم سنجعلهم عبرة لكل من يفكر في القيام بهذا الأمر مرة أخرى.

نعم.. المهم أن يصبحوا عبرة..

عبرة للجميع..

* * *

يا سلام.. هذا هو.. هذا هو.. دسائس.. مؤامرات.. مطاردات.. اغتيالات.. رصاص يتطاير.. قنابل تنفجر.. صواريخ تُدمِر.. يا سلام.. هذا هو.. يبدو أن السلسلة ستتحول من الثرثرة والتسكع إلى العمل والقتال.. سيصبح

هؤلاء الشبان كفتة بعد قليل.. لقد أوشكوا على قتلي بثرثرتهم.. لعلهم يتحركون الآن ويصبحون أكثر .. يا سلام.. يا سلام.. هذا هو.. هذا هو..

* * *

استغرقت رحلتهم سبع ساعات، كان الفجر حينها يبزغ ويرسم معالم الأشياء، ومعالم جبال تظهر حدودها في ضوء الفجر، والقارب يقترب شيئا فشيئا من الشاطئ، وقد ارتفع غطيطهم، هز النوتي كتف الدكتور (مختار) برفق وهو يناديه:

- يا معلم.. يا معلم.. لقد وصلنا..

تنبه الدكتور (مختار) ومعه (عاصم) و(عبد الرحمن) الذي سأل:

- هل وصلنا ؟

النوتي:

- نعم.

ثم انهمك في وضع الخشبة الطويلة بين القارب الشاطئ بمعونة (عاصم)، في حين ايقظ الدكتور (مختار) و(عبد الرحمن) الباقين.

الدكتور (مختار):

- ستبقى الحقائب في القارب، خذوا ما تحتاجونه لثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر.

كان النوم لا يزال ضبابه على مخاخهم، ولكنهم أخذوا يخرجون ما يحتاجونه، في حين وقف الدكتور (مختار) مع النوتي على الشاطئ وأخذهم حديث لم يستطيعوا سماعه، والنهار يزيل قتامة الليل عن الأشياء.
اقترب (حذيفة) من الدكتور (مختار) قادما من القارب على اللوح الخشبي، وهو يحمل أشيائه في كيس بلاستيكي، حتى رآه النوتي فتوقف عن الكلام وسأل (حذيفة):
- هل انتهيتم؟
نظر (حذيفة) خلفه، وكان الباقون يسيرون الواحد تلو الآخر على اللوح الخشبي، الحقيقة أن سؤال النوتي كان لتنبيه الدكتور (مختار) لقدومهم أكثر منه سؤالا، وقد شعر (حذيفة) بذلك وجاراه في ذلك:
- نعم.
وقفوا جميعا على الشاطئ ينظرون إلى الشمس وهي تبزغ من الشرق وتلقي عليهم - والجبال من خلفهم - بضياءها وتصنع في البحر طريقا ذهبيا يتلألأ، وتفضح الوجود بألوانه الهادئة، وفي انتظار أن يفرغ الدكتور (مختار) من حديثه مع النوتي، الذي سارع وصافح الدكتور (مختار)، ولوح لهم بكفه ثم رفع اللوح الخشبي وقفز في قاربه وانطلق فوق الطريق الذي تصنعه ألشمس بضياءها في البحر نحو الشمس.
نظر إليهم الدكتور (مختار) قائلا:
- هيا بنا.

سار الدكتور (مختار) وهم من وراءه على هيئة طابور ينتهي بذلك المدعو (نور)، وعلى طول الشاطئ الصخري الضيق كانت الجبال إلى يمينهم والبحر إلى يسارهم، ثم انحرف بهم الدكتور (مختار) في فتحة بين جبلين أشبه بالفج الصغير وهم من ورائه.. الواحد تلو الآخر.. الواحد تلو الآخر.. لا يتكلمون.. لا يتذمرون..

ساروا قرابة نصف ساعة في بيئة جبلية وعرة، ليس فيها ألا الصخور والرمال والأعشاب والنباتات الجبلية والصمت المخيف، لا حيوان ولا طير.. ~حسنا هناك طائر يحلق من بعيد، وأنني أظن أنه فعلها نكاية بي~ قبل أن ينحرفوا إلى شَّعْب صاعد على ظهر جبل، ويكملون سيرهم على الطريق الضيق الصاعد، الذي يدور بهم حول الجبل.. يسيرون.. ويسيرون.. الواحد تلو الآخر.. الواحد تلو الآخر.. ثم يسيرون.. حتى أوشك (محمد) على الشكوى، في هذه اللحظة تماما وقبل أن يشكل لسان (محمد) الحرف الأول من شكواه، ارتفع صوت الدكتور (مختار) يقول:

- لقد وصلنا.

آهات الارتياح رسمت ابتسامة كبيرة على وجه الدكتور (مختار) فقال:

- هيا. لا زلنا في البداية.. والرحلة لم تبدأ بعد..

(عمر) والضيق حاله:

- ومتى ستبدأ؟

الدكتور (مختار) مبتسما:

- حين تبدأ.

جميل هذا التعبير، تبدأ الأشياء حيث تبدأ وتنتهي حين تنتهي، يا سلام.. إبداع..

كانت نهاية معاناتهم هي كهف واسع في حضن الجبل يطل على الجبال الأخرى جهة الجنوب، كنت أود أن أقول أنه كهف مهجور، ولكن كان يحتوي أشياء تُخبر أنّ هناك من سبقهم، عدة حزم وموقد غاز خاص بالرحلات الخلوية، ومصابيح كهربائية تُشحن بالطاقة الشمسية، وأكياس تحتوي خضار وأدوات لطهي الطعام وأشياء أخرى.

الدكتور (مختار):

- لقد تم إعداد المكان للإقامة.

(عاصم):

- وهل تم التخلص من العقارب والثعابين؟

(عمر) وذلك المُسمى بـ (نور):

- عقارب وثعابين؟

(فتحي):

- في هذه الأماكن تكثر العقارب والثعابين، خاصة تحت الصخور والأحجار.

(عاصم):

- ليحرص كل منا على تفحص الحجر أو الصخرة التي يجلس عليها.

الدكتور (مختار):

- ولا يرتدي أحدكم حذائه أو ثوبه حتى ينفضه، لئلا يكون فيه شيء من الهوام.

(حذيفة) وقد صارت العقارب والثعابين تتراءى له في كل مكان:

- وكيف سننام؟

أشار الدكتور (مختار) إلى الحزم:

- هناك أكياس للنوم وما نحتاجه لإقامتنا في الأيام القادمة.

المدعو (نور) وهو ينفض الثعابين الوهمية عن قدميه:

- وأين سننام؟

أجاب الدكتور (مختار) وملامحه تقول أن الإجابة بديهية:

- في الكهف.

ثم أردف وكأنه تذكر أمرا منسيا:

- يجب أن نبقي أنفسنا ومكاننا سرا، لذا سنتحرك في المكان بحذر شديد.

نظر (فتحي) إلى المكان والجبال المحيطة التي تحول بينهم وبين العالم:

- وهل يوجد سوانا في هذه البقعة ؟

الدكتور (مختار):

- لا نعلم، لنكن على حذر، ولا تنس خفر السواحل وقوات الجبال، سيسألون ماذا نفعل هنا؟ لنتنقل بهدوء ونتخفى عن الأعين سواء كانت حولنا أم لا، والآن لنعد مكان إقامتنا.

انهمك الجميع في تنظيف وترتيب المكان، ولم يتركوا صخرة إلا وقلبوها واخرجوا ما استطاعوا حمله للخارج، ولا نبتة إلا اقتلعوها، وبعد ساعتين كان المكان جاهزا لهم، وقد جعلوا المطبخ قريبا من مدخل الكهف حتى تخرج روائح الطهي، والأسرة في الداخل، وجمعوا بعض الأغصان الجافة،

ووضعوها على فتحة الكهف مع بعض الصخور لتصبح ضيقة لمنع الحيوانات~لا يمكن أن تكون الجبال بلا ذئاب أو غيرها من الحيوانات ~، وجعلوا شجرة شوك كبيرة بابا يضعونها حين ينامون.

- بيت الخلاء.. أين بيت الخلاء؟

قالها (حذيفة) كأنه اكتشف شيئا جديدا قيّماً ~وهذا صحيح، في أغلب القصص والمغامرات يتجاهلون بيت الخلاء، وكأن الأبطال لا يحتاجون ذلك، وأنا أرى في ذلك بطولة زائفة، هات بطلا من هؤلاء وامنعه من دخول بيت الخلاء يوما واحدا فقط، وسنرى كيف يصير حاله؟~ لا بد من بيت الخلاء.

(عاصم):

- صحيح، سنبحث عن مكان يصلح بيتا للخلاء، ولكن تبقى مشكلة الماء.

أشار (عبد الرحمن) إلى ثلاثة أوعية كبيرة وقال:

- وما هذا؟

(فتحي):

- هذا الماء بالكاد يكفينا ثلاثة أو أربعة أيام للشرب والطهي فقط، نحتاج ماء للاستحمام والوضوء.

الدكتور (مختار):

- الماء يجب الاقتصاد فيه، ولكن يمكننا توفيره.

(محمد):

- البحر.

أكمل ليجيب عن ما تسأله ملامحهم:

- يمكننا الذهاب للبحر للاستحمام والوضوء.

(عاصم):

- أنه يبعد عن هنا أكثر من ساعة.

وتكلم الدكتور (مختار) بسرعة:

- يجب علينا الحذر حتى لا يرانا أحد، والذهاب إلى البحر يزيد من مخاطر انكشاف موقعنا.

التفت المُسمى (نور) إلى الدكتور (مختار):

- قلت أنه يمكن توفير الماء، كيف؟

الدكتور (مختار):

- أظن أن هناك بئرا قريبة للماء العذب، سنبحث عنها، وإن لم نجدها، فسيصل لنا الماء العذب بعد ثلاثة أيام.

* * *

13- بداية البداية

نظر (حذيفة) إلى عمله في إعجاب، وقال (عمر):

- عمل رائع بإمكانيات واهية.

أخذ (فتحي) يتأمل بيت الخلاء البدائي، الذي انتهوا من عمله في ثنية من ثنايا الجبل، وبابتسامة قال:

- ومن يستخدمه يتمتع بمشهد طبيعي للجبال.

فرك (حذيفة) يديه وقال مسرورا ~ولا أعلم لماذا؟~:

- الباب، الآن تبقى الباب.

نظر (عمر) حوله واتجه إلى نبتة جبلية كبيرة وكثيفة، وبحذر اقتلعها، ووضعها على فتحة بيت الخلاء، ثم ابتعد قليلا لينظر إلى عمله بإعجاب، كأي فنان يعاين لوحته، ثم رفع سبابته:

- و الآن.. الفحص والاختبار..

أمسك النبتة وأزاحها ودخل بيت الخلاء وأعاد النبتة لموضعها.

(حذيفة):

- طق، طق، طق، هل نسيت شيئا يا عزيزي (عمر)؟

(عمر):

- نعم، الما..

قاطعته صيحة (حذيفة) وهو يهتف:

- أصغيا.

أصاخوا السمع لبرهة حتى قال (فتحي):

- إلى ماذا نستمع؟

كان العجب والحيرة على وجه (حذيفة) وهو يقول:

- لقد خُيّل إلي أنني اسمع صوت طائرة عمودية.

أزاح (عمر) النبتة وهو يشارك (فتحي) الدهشة ويقول:

- طائرة عمودية؟.. هنا!

نظر (حذيفة) إلى السماء:

- نعم، كان صوتها خافتا جدا لكنه مميز.

شاركه الاثنان النظر إلى السماء، قبل أن يقول (فتحي):

- ربما خُيّل إليك.

قال (حذيفة) دون أن يترك النظر إلى السماء وبغير اقتناع:

- ربما.

(عمر):

- لا أظن أن في هذا المكان سوانا، أنا سأذهب لأحضر الماء لافتتاح مرحاضنا الفاخر.

ساروا عائدين إلى الكهف، وعينا (حذيفة) لا تزالان تنظران إلى السماء.

لقد سمع صوت طائرة عمودية..

أنه على يقين من ذلك..

أنه لم يتوهم ذلك..

* * *

نظر (عبد الرحمن) إلى الجبال من حوله وخاطب رفيقيه:

- أين يمكن أن يوجد بئر في هذا المكان؟

مسح (عاصم) المكان بعينيه وأجابه:

- في الأرض المنخفضة بين الجبال أو على بداية سفوحها من أسفل.

أظل (عبد الرحمن) عينيه بكفيه ليحسن من ابصاره ~وإن كنت أشك في ذلك~ وعلّق:

- أشك أن يكون هنا بئر، لقد بحثنا طويلا في المنطقة ولم نجده.

اقتلع (محمد) نبتة جبلية كثيفة وأمسك جذعها، وجعلها مظلة تحجب عنه الشمس، وأشرك نفسه في الحديث:

- لماذا لم يكن بيت الخلاء من نصيبنا، أليس بناء مرحاض أفضل من البحث عن بئر مجهولة المكان؟

(عاصم):

- لقد اخترنا ذلك، فلماذا نتراجع الآن؟ هيا نصعد سفح ذلك الجبل، ربما نستطيع رؤية المنطقة بشكل أفضل.

لا أعلم ما قصتهم مع الطابور، لقد ساروا (عاصم) في المقدمة و(محمد) في المؤخرة، حتى وصلوا سفح الجبل.

هنا قال (محمد) متضايقا:

- هل سنصعد؟

شرع (عبد الرحمن) في الصعود وقال:

- اسبقنا إذا كنت تطير، أما نحن فسنزحف.

كانت الحالة النفسية لـ (محمد) في غاية السوء، خاصة وهو يرى (عاصم) يثب من صخرة إلى صخرة صاعدا كالفهد، فنفث غيظه:

- وأين الأستاذ (نور)؟ لماذا لا يساعدنا؟

كان (عبد الرحمن) يدور حول الصخور ويتجنب الأشواك مما جعل تقدمه بطيئا، وجعل تقدم (محمد) الذي يتبعه كسيحا، ورغم المظلة فإن دهونه لم تتوقف عن الذوبان على هيئة عرق غزير يوشك أن يذهب ببصره، وأدرك (عبد الرحمن) حالة (محمد)، فقال مهونا:

- أنه يساعد الدكتور (مختار)، هيا لقد وصلنا، خطوتان ونصل (عاصم) ثم نستريح.

بلغا (عاصم) الذي أعتلى صخرة كبيرة وجعلها له منارة، ينظر من فوقها إلى المكان من حوله، وألقى (محمد) نفسه على صخرة عريضة، ووضع (عبد الرحمن) ظهره على صخرة (عاصم) وهو يلهث.

(عاصم):

- لا أرى شيئا يصلح كبئر أو يأخذ هيئة بئر.

(محمد):

- لا يوجد بئر، من سيحفر بئرا في هذه الجبال القفر، لو أن هنا بئرا لكان للناس طريق إليها.

(عبد الرحمن):

- ربما رُدمت البئر لمنع الناس، أو دفنتها الصخور الساقطة من الجبل.

قال (عاصم) آمرا بقوة:

- اصغيا.

صمتوا جميعا،حتى (محمد) كتم أنفاسه، قبل أن يقول (عاصم):

- هل سمعتم؟

(عبد الرحمن):

- سمعنا ماذا؟

(عاصم):

- صوت أشبه بصوت طائرة عمودية.

نفى (عبد الرحمن) برأسه ولسانه:

- لم اسمع شيئا.

أما محمد فاكتفى بالنفي مستخدما سبابته، مسكين لقد فرغت طاقته، و... دوى صوت.. كليك... والتفت الجميع لمصدر الصوت، ليجدوا المدعو (نور) يمسك بآلة تصوير ويلتقط لهم صورة ويقول:

- صورة رائعة للمغامرين الثلاثة.

اكتفوا بالنظر إليه دون كلام كأنهم جميعا فرغت طاقتهم، فلوح لهم المُسمى (نور) وهو يقول:

- ماذا هناك؟ لا اسمع ترحيبا بقدومي لمعاونتكم.

أشار له (محمد) بكفه برسالة بليغة تعني "جئت يا عبد المعين تعين.. وجدتك تريد معينا"

قفز (عاصم) من فوق الصخرة، وهو يشير إلى (محمد) بأن ينهض وهو يقول:

- لقد وجدت البئر.

اندفعوا خلفه وهو ينزل سفح الجبل، حتى بلغ صخرة كبيرة، هتف بهم (عاصم) وهويمسك بحافة الصخرة:

- هيا، ساعدوني على زحزحتها.

اجتمعوا عليها جميعا، وأبت أن تتحرك ثم لانت وأخذت تتزحزح شيئا فشيئا، لتكشف فتحة بئر تحتها.

قال (محمد) لاهثا:

- كيف؟.. كيف عرفت؟..

أجابه (عاصم) وصدره يعلو ويهبط من المجهود:

- شكل الصخور كان مبعثرا على هيئة دائرة، والصخرة مركزها، وحديث (عبد الرحمن) عن إخفاء البئر، جعلني أخمن أن هذا ربما مكان البئر.

وخز (عبد الرحمن) (عاصم) وأشار بيده، ونظر (محمد) إلى حيث يشير، كان المُسمى (نور) قد جعل عدسة آلة التصوير مرآة وقد وضعها فوق صخرة، وانهمك في تصفيف شعره ونفض الغبار عن وجهه.

انتبه إلى تحديقهم إليه، فكشر وزمجر وقال:

- ماذا هناك؟

لم يجبه أحدهم وأطالوا التحديق إليه، فعاد يقول:

- ماذا هناك ؟ ألم تروا شخصا يهتم بمظهره من قبل؟

مرة أخرى لم يجبه أحدهم، ثم أمسك (محمد) ياقة قميصه وقال:

- يا خوفي منك، أنا في قلبي شيء منك.

صاح المدعو (نور):

- شيء؟ شيء مثل ماذا؟ إن كان في قلبك شيء، قل ما هو الآن؟

تجاهلوه وهو يصيح ويعيد سؤاله، وقال (عاصم):

- هيا بنا نعود.

(عبد الرحمن) وهو يشير إلى البئر:

- لا يمكننا تركه هكذا، سيقع فيه من لا يراه.

تعاونوا جميعا ~نعم، حتى هذا الكائن المُسمى (نور) معهم ~ في بناء سور حول البئر من الصخور الكبيرة، ثم ساروا عائدين إلى كهفهم.

التفت (محمد) ولا تزال نبتته فوق رأسه إلى المُسمى (نور)، وأشار له بسبابته اليمنى قائلا:

- أياك أن تكتب عني حرفا في يوميات الرحلة.

رفع المُسمى (نور) رأسه في عجرفة وقال:

- لن أكتب عنك أو أي منكم، أنا أقوم بتوثيق الاكتشافات المهمة فقط بالصور والفيديو.

كانت الابتسامة تحيط بوجه (عاصم) وهو يسأل:

- ومن سيكتب يوميات الرحلة؟

المُسمى (نور) في عنجهية:

- لا أعلم ولا يهمني.

آآآه ه ه.. يا حبيبي يا (نور).. ظلمتك يا عزيزي.. تصوير فقط.. التقط صورا كما تشاء.. المهم أن أكون أنا من يكتب يوميات الرحلة.. يا صديقي.. العزيز..

*   *   *

- أنا متأكد من سماعي صوت طائرة عمودية ~يقصد هليكوبتر~.

قالها (حذيفة) بعزم وتصميم، وأيّده (عاصم):

- وأنا كذلك، لقد سمعتها وإن كانت بعيدة.

كان الوقت بعد العشاء، وقد فرغوا من الطعام، وهم جلوس في دائرة وقد أمسك كل منهم بكأس شاي أو فنجان قهوة، وقد جعلوا مصباحا كهربائيا من خلفهم، بحيث يلقي ظلالهم داخل الكهف، ورغم أن الجبل المقابل لكهفهم يمثل ساترا ممتازا لهم، ولكن المزيد من الحذر لن يضر أحدا.

الدكتور (مختار):

- ربما تكون دورية من دوريات حرس الحدود أو قوات الجبال.

(نور):

- هل المنطقة خالية؟ ربما نحن قريبون من منطقة ما، قرية أو قاعدة للجيش أو مركز ما.

الدكتور (مختار):

- لا أظن ذلك، لقد تم اختيار هذا المكان لبعده عن الناس والعيون.

(محمد):

- ربما الأمر كما قلت، دورية لحـ...

هنا دوى صوت سمعه الجميع..

صوت لا يختلف فيه اثنان..

صوت رصاص..

دوى في عتمة الليل..

وسكون الجبال..

* * *

كان (عاصم) أسرعهم تصرفا، فقفز إلى المصباح الكهربائي وأطفئه.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وهم يستمعون إلى صوت الرصاص يدوي من جديد، كان بعيدا ولكن واضحا..

واضحا جدا..

همس (عاصم):

- يبدو كمدفع رشاش آلي.

(محمد) وهو يهمس بدوره:

- مطاريد الجبل أو مهربون.

(عبد الرحمن) هامساً:

- أو الجيش.

الدكتور (مختار) بصوت خافت:

- لا أظن، المكان بعيد جدا عن طريق المهربين وليس قريبا من أي قرية أو بلدة، ربما يكون الجيش.

(عمر):

- ماذا يكون إذا؟

الدكتور (مختار):

- لا يمكننا الحركة الآن، ولن نعرف حتى نتحقق من الأمر صباحا، الآن لنذهب لأسرتنا ونحاول النوم.

تحركوا جميعا بهدوء نحو أسرتهم، واندسوا جميعا في أكياس النوم و..

ليدوي صوت من جديد..

هذه المرة كان الصوت واضحا..

وهو يتقدم بسرعة إلى مكانهم..

حتى أصبح فوقهم..

صوت طائرة..

طائرة عمودية..

*** * ***

كانت ليلتهم نابغية بحق، وألف سؤال في رؤوسهم، والقلق والأرق يكيّان كل جنب وجدوا فيه راحة، وزادت الذئاب الطين بله، وعوائها يدوي في الليل وتعيده الجبال من خلفها، وازداد الليل خوفا ورهبة، ودار في أذهانهم

سؤال وهم يسمعون ركضها أمام فتحة الكهف، هل سيمنعها بابهم الواهن من الولوج إليهم والانقضاض عليهم؟..هل؟..

كان نور الفجر لهم راحة وفرجا، فنهضوا الواحد تلو الآخر، وكل منهم يذهب بيت الخلاء في حماية الآخرين، وقد تسلحوا بالصخور وأغصان من نبات شوكي، وصلوا الفجر معا.

كشف نور الصباح قمم الجبال من حولهم، وأدخل شيء من الطمأنينة عليهم، ومع زحف الضياء تذوي مخاوفهم، حتى بدت ككوابيس يتذكرون اشلائها، ومع هذا.. تناولوا أفطارهم في صمت القبور وهم يلتفتون ذات اليمين وذات اليسار، وكل صوت يمسخهم تماثيلا والبُرهة تعيدهم.

والله قصتهم قصة حزينة لا يجدون سلاحا إلا الصخور وأغصان النبات، وترتعد فرائصهم من الخوف، ما هذا الشباب الخرع؟ يبدو أنني سأندم على تدوين رحلتهم، أين السلاح؟ أين البنادق والرشاشات الآلية والقنابل؟ أين قلوب السباع؟ أين الركلات واللكمات والقفزات القتالية؟ أين طاخ.. طيخ؟.. أين؟.. أين؟.. أين؟..

كنت أحسب أنني سأكتب أعظم رحلة قام بها بشر بعد ذي القرنين، ولكن.. لقد خُدعت وغُرر بي فلا حول ولا قوة إلا بالله.. أنني أكتب قصة شباب (مامي ودادي وتيته)..

الدكتور (مختار):

- سيذهب (عاصم) و(حذيفة) و(عمر) لتقصى ما يحدث..

اندفع (محمد) بالقول:

- سأذهب معهم.

نفى الدكتور (مختار) بكفه قائلا:

- لا، نحتاج خفيف الحركة ولياقته عالية، ستذهبون في الاتجاه الذي جاء منه الصوت، (عاصم) في البداية وعلى مسافة منه (عمر) ثم على مسافة أخرى (حذيفة)، كونوا على حذر شديد، تقصوا الأمر فقط، لا تتدخلوا أو تشاركوا في أي شيء، وعودوا بأقصى سرعة.

خرج الثلاثة والباقون واجمون، نهض (فتحي) قائلا:

- سأتريض قليلا.

خرج واستمر الباقون على حالهم، وقطع صمتهم (عبد الرحمن) بقوله:

- ثم؟

التفتوا إليه وعيونهم تسأله عن مغزى سؤاله، فأكمل:

- ماذا سنفعل إذا وجدوا شيئا؟

الدكتور (مختار):

- لن نفعل شيئا، سنحاول التخفي وعدم الظهور وسنتحرك للضرورة فقط، لقد بقي لنا يومان أو خمسة، ثم سنغادر.

نهض (محمد) قائلا:

- سأتريض أنا أيضا.

الدكتور (مختار):

- لا تبتعد، وكن حذرا ولا تبدو ظاهرا للعيان.

هز (محمد) رأسه موافقا وخرج، أشار الدكتور (مختار) إلى (عبد الرحمن) أن رافقه.

وضع (نور) كفيه على ركبتيه وقال:

- سأرافقهم.

الدكتور (مختار):

- احرص على أن تكونوا قريبين.

أجابه (نور) بهز رأسه وتبعهم، وبقي الدكتور (مختار) وحيدا، ولكن لم تمض عشر دقائق حتى سمع صوت (فتحي) يناديه..

- أريدك وحدك فقط.

قالها (فتحي) بخفوت وحذر وجدية جعلت الدكتور (مختار) يشعر بالقلق، فسأل:

- ماذا هناك ؟

أشار له (فتحي) أن يرافقه، وسار صاعدا الجبل وخلفه الدكتور (مختار)، حتى وصل مكانا ظن أن أحدا سواهما لا يسمعه، قال:

- بالأمس حين سمعت صوت الطائرة، خُيّل إلي أنني سمعت صوت ارتطام، كأنها ألقت شيئا أو سقط منها شيء، بحثت عنه.

صمت هُنيهة ثم أكمل:

- ووجدته.

بلغا صخرة كبيرة ورأى الدكتور (مختار) كيسا كبيرا من البلاستك، كان الكيس ممزق وظهر منه..

لحم مزقته الذئاب أو الكلاب..

وعظام..

و رأس..

رأس بشرية..

تنظر إليهم..

بعينين شاخصتين..

يا سلام.. ما أبدعك..

* * *

قعد (محمد) على صخرة تطل على ما أشبه بالوادي بين الجبال، وشعر بمن يجلس بجواره في صمت.

- ماذا بك؟

قالها (عبد الرحمن) بعد فترة صمت بصوت خافت كأنه يحدث نفسه، وأجابه (محمد) كأنه ينتظر هذا السؤال:

- هذه الرحلة..

قالها وسكت وانتظره (عبد الرحمن) أن يكمل، ولما طال سكوته استحثه:

- ما عنها؟

(محمد) بصوت يوشك على البكاء:

- نحن لسنا أهلا لها.

(عبد الرحمن):

- لماذا ؟

(محمد) والضيق يصارع الحزن في صوته:

- ألم تر حالنا بالأمس، العجز والضعف والبؤس، كل هذا والرحلة لم تبدأ بعد، كنا مجموعة من العجزة الجبناء~الحمد لله، أخيرا أحدهم شعر بما أشعر به~، لقد هربنا من واقع تعيس نألفه إلى آخر مخيف نجهله، ذاهبون في رحلة قد تجعلنا أضحوكة الناس عبر التاريخ، أو أعظم رحلة لبشر بعد رحلة ذي القرنين.

ترك (عبد الرحمن) الصمت يأخذ مكانه ثم قتله:

- هل عملت يوما في شركة أو مؤسسة.

(محمد) والغلبة في صوته للحزن:

- عملت في ثلاث شركات.

(عبد الرحمن):

- وأنا أيضا، في الأيام الأولى تشعر أنك أحمق وغبي ولا تعرف شيئا، رغم أنك تعرف العمل جيدا بل ومارسته من قبل، ثم تبدأ الأمور تتحسن، وتشعر بالثقة حتى تصل إلى وقت تشعر بأنك تسيطر على عملك وتديره كما تشاء.

صمت فسأله (محمد):

- ماذا تقصد؟

(عبد الرحمن):

- أقصد أننا لا زلنا في البدايةِ، ومن الطبيعي أن ينتابنا شعور بالعجز والضعف، لكن هذا كله سيزول مع الوقت والممارسة، وسنبدأ باستخدام خبراتنا ومهاراتنا وما تعلمناه، ونمزجه مع واقعنا ونقهر به ما نواجهه من مشكلات ومعضلات.

تفكر (محمد) في حديث (عبد الرحمن)، كان كلاما منطقيا ولكن الضيق لم يترك صدره، ووجد نفسه يهتف:

- وهذا الـ (نور) ؟

سأله (عبد الرحمن) مستغربا:

- ماذا عنه؟

(محمد):

- لا أعلم، لا أطيقه، لا أستريح له، لا أعلم لماذا؟ كيف بلد مثل لبنان، جميل ورائع وأهله لطفاء، يخرج منهم هذا الكائن؟

هنا علا صوت يقول:

- لا أعلم كيف بلد جميل وطيب مثل مصر يخرج منها هذا الخرتيت؟

التفتا إلى الصوت، ليجدا (نور) يقف خلفهما وينظر إلى (محمد) في تحد، وقد اتخذ وقفة تراها كثيرا في إعلانات أفلام القتال، حيث يقف البطل وقدمه على صخرة، ويمسك البندقية على كتفه واليد الأخرى على خاصرته، حسناً.. (نور) لم يكن معه بندقية ولذلك جعل يديه على خاصرتيه.

نهض (محمد) بسرعة وقوة، لقد آن الأوان ليعرف هذا الـ (نور) حجمه، عار على من في حجم (محمد) أن يسكت على هذه الإهانة، أن هذه الجثة خُلقت لأمر عظيم، وهو تهشيم عظام هذا الـ (نور)..

هنا أمسك (عبد الرحمن) يد (محمد) وهو يرجوه:

- بالله عليك دعه، إن لم يكن لأجل الدكتور (مختار)، فلأجل الرحلة، بل لأجل من هو أعظم من هذا كله، لأجل الله.

أوشكت أسنان (محمد) أن تتهشم وهو يكتم غيظه إكراما لكل ما قاله (عبد الرحمن)، الذي اندفع نحو (نور) وأمسكه من ذراعه وجذبه ليقتاده بعيدا.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كلما فرحت بأن هناك إثارة وبعض اللكمات في هذه القصة، جاء من يفسدها، حسبنا الله ونعم الوكيل.

عاد (محمد) إلى مجلسه والغيظ يغلي في صدره، وسرح ببصره بعيدا يفكر في أمرهم، وشعر هو بـ (عبد الرحمن) يعود إلى مكانه، وضع يده على ظهر (عبد الرحمن) قائلا:

- شكرا لك..

هذا عجيب..

متى نبت لـ (عبد الرحمن) شعر على ظهره؟..

وكيف أصبح شعره طويلا هكذا؟..

بل كيف أصبح ظهره نحيفا تحيطه بكفك..

و توشك أن تحصي عظامه..

التفت إلى (عبد الرحمن)..

لا حول ولا قوة إلا بالله..

إنا لله وإنا إليه راجعون..

(عبد الرحمن) صار ذئبا..

ذئب ينظ إليه بعينين..

امتلأتا جوعا وشوقا..

طبعا..

أنه لم ير مثل هذه الوجبة الكبيرة من اللحم والدهن؟..

أين يوجد مثلها في تلك الجبال والقفار؟..

يأكلها ويصوم بعدها عاما..

بل عشرة أعوام..

وجبة كُتب عليها..

"صُنع في مصر"..

"طبقا للمواصفات القياسية المصرية"..

"حاصل على شهادة الجودة آيزو.."..

الآن.. الآن سينقض على (محمد) ويلتهمه التهاما..

هذا هو الذئب.. بل هذا هو الأسد..

يا فرحة (أم عامر).. يا فرحة (أم عامر)..

ماذا تريد معه؟..

بطاطس مقلية ؟.. وكتشب أيضا..

هذا ذئب له ذوق..

يا سلام.. يا سلام.. هذه هي الإثارة.. هذا هي الإثارة..

وزمجر الذئب..

الله.. ما أروعك..

هذه زمجرة أم موسيقى من وديان الجنة؟..

وانقض على (محمد) بكل شراسة..

وجوع..

ومعه..

معه رقص قلبي..

*** * ***

- لا يصح ما قلته.

قالها (عبد الرحمن) بحدة وهو يقف مع (نور) أمام فتحة كهفهم، ورد عليه (نور) بحدة أكبر:

- أنا لا أقبل الإهانة من مخلوق على وجه الأرض، ثم أيصح ما قاله هو؟.

زفر (عبد الرحمن) بقوة قائلا:

- لا، لكن أنت جعلتها إهانة صريحة، ونسيتم جميعا أننا فريق واحد، يجمعنا مصير واحد، وسنمضي معا وقتا طويلا، وهذه الشحناء ستجعل حياتكم جحيما، وتلقي بالتوتر والضيق على الجميع.

جاء دور (نور) ليزفر قائلا:

- حسنا، ماذا تريد مني أن أفعل؟

أسرع (عبد الرحمن) بالرد:

- أن تعتذر له.

صاح (نور):

- مُحال.

نظر له (عبد الرحمن) في أسف وقال:

- مع الأسف ستكون أنت السوسة التي ستحطمنا وتمزق شملنا، طبيعتك التي لا تسامح ولا تتساهل ستجعلنا نجاملك لأجل الدكتور (مختار) وسنصبر عليك بعض الوقت، ولكن من الصعب أن نصبر عليك كل الوقت.

نظر له (نور) في غضب وأراد الكلام، ولكن الكلمات غصت في حلقه، واندفع متجاوزا إياه في غضب.

أطرق (عبد الرحمن) برأسه في أسف ~أشاركه أياه~ وهو يفكر في الرحلة وكلمات (محمد) تتردد في ذهنه..

هل هم حقا لا يصلحون لهذه المرحلة؟ هل ستنتهي الرحلة قبل أن تبدأ؟ هل ما قاله لـ (محمد) حقيقة أم خداع للنفس؟ هل سيذهب عنهم الضعف والعجز والتردد ليحل محلهم القوة والقدرة والثقة؟ هل..

انتبه في هذه اللحظة إلى صياح يأتي من بعيد، التفت حوله يبحث عن مصدره، ليرى (حذيفة) يركض على الطريق الصاعد إلى كهفهم وهو يهتف بأسمائهم..

أسرع إليه (عبد الرحمن) ليلاقيه، ولكن (حذيفة) بلغه قبل أن يسير بضع خطوات، وسقط (حذيفة) على الأرض عند أقدام (عبد الرحمن)، والكلمات تقتل بعضها في فيه دون أن تغادره، والذعر على وجهه، والدموع توشك على الطفر من عينيه، و(عبد الرحمن) يربت عليه ويحاول تهدئته، حتى استطاع تمييز كلماته وهو يقول:

- ع.. (عمر).. (عمر) مات.. ق.. قتلوه..

*** * ***

نُكمل في الكتيب القادم

نُكمل في الكتيب القادم!.. من كتب هذه؟.. من وضع هذه؟.. الآن بدأت القصة وتحركت الأحداث.. بعد أن أوشك الملل أن يقتلني.. بعد أن عرفت هيئة الموت وأدركت طبيعته من ثرثرتهم.. تقول نُكمل في الكتيب القادم؟.. أريد أن أعرف ماذا حدث بين (محمد) والذئب؟.. هل أكله الذئب؟.. هل هو لذيذ المذاق؟.. أم أن (محمد) نجا؟ يا للمصيبة وكيف؟.. ما سر العظام التي

وجدها (فتحي)؟ عظام من؟ من أَين جاءت؟.. هل مات (عمر)؟ ومن قتله؟ ولماذا؟.. ما مصير (عاصم)؟ أين هو؟.. كل هذه الأسئلة نريد إجابات لها..

ولكن..

ما زلنا في البداية..

بداية البداية..

الجزء الثاني بمشيئة الله تعالى

القصّابون

للكاتب إبراهيم محمد

الغَيْهَبُ

حين تغْشى الخُرافة الحقيقة
ويصير الواقع ضربًا من الخيَّال

1 - بدايات مُخِيفة
2 - النور والظلام
3 - العَهْد الجديد (بمشيئة الله في المستقبل القريب)

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العَالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة

1 - الرحيل ج1
2 - القصَّابون ج2
3 - وادي الصمت ج1 (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الرَاهِب ج2

عالم جديد

عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

1 - النهوض
2 - العودة إلى الصفر (بمشيئة الله قريبًا)
3 - أوار الماضي
4 - العائدون ج1
5 - طلائع الشرِّ ج2

البُسْتان

روايات تبحث لها عن ملجأ

1 - رواية خلاعيَّة
2 - الأبواب
3 - مملكة الأحزان (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الله والشيخ والشيطان وأنا
5 - طريق الخُلُود
6 - ثلاثون من المائة
7 - ألف ألف إله
8 - فجوة في جدار المُستقبل

الفُنْدُق

قضايا وتحقيقات

1 - جميلة الجميلات
2 - بِيعَ (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - خصوصية
4 - جُثَّة لا تحب القبور
5 - ساعة تُنادي النهاية

ما وراء النهاية

مع كل نهاية بداية جديدة

1 - كنوز الملك سليمان
2 - الرجل الخفي (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - رحلة إلى مركز الأرض
4 - جزيرة الكنز

 Wordsonsnowtablet@gmail.com

 Wordsonsnowtablet

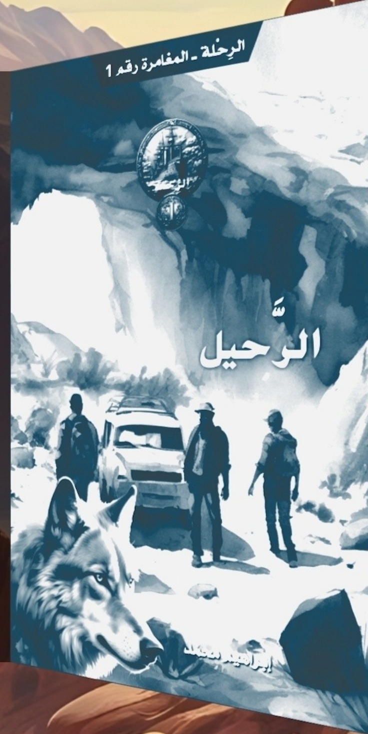
الرحلة





الرَّحيل

هيا ، اسرع.. إلى أين؟ إلى نهاية العالم.. لماذا؟ نريد أنْ نعلم هل هي كروية أم مسطحة؟ اسرع يا أخي اسرع.. ترتدي سروالك؟ يا سلام! وهل أنجبتك أمك مرتدياً سروالاً؟ لماذا قفزت من النافذة؟ لأنني لا أملك وقتاً لأقرع بابك.. ثم من هذا الذي يشرب القهوة عارياً؟! شأنك عجيب.. عجيب جدّاً.. تنتعل حذاءك؟.. وهل أنجبتك أمك مرتدياً حذاءً؟ اسرع يا أخي اسرع.. عاصم؟ لقد سبقنا.. الباقون؟ ذهبوا معه.. اسرع يا أخي اسرع..



الرحلة

رحلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

الرواية القادمة

القصَّابون



إبراهيم محمد